من داخل السجن ١٣

شقشقة المظلوم

شرح مضامين الخطبة الشقشقية لأمير المؤمنين عليه السلام

فك الله أسره
الشيخ زهير عاشور

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: شقشقة المظلوم، شرح الخطبة الشقشقة لأمير المؤمنين عليه السلام
تأليف: الشيخ زهير عاشور
نشر: دار الوفاء للثقافة والإعلام
تصميم الغلاف: سيد محمد رحيمي
المدقق اللغوي: الشيخ حسين اليوسف
الطبعة: الأولى، أبريل ٢٠٢٢م
البريد الإلكتروني: mediaalwafa@gmail.com
دار الوفاء للثقافة والإعلام - البحرين
الموقع الرسمي
٠٠٩٨٩١٦٤٤٧٥٥٦٩
daralwaffa

الفهرس

الإهداء ١٣

مقدمة الناشر ١٥

تمهيد ١٧

الشقشقة الأولى: الظالم الأول والطغية العمياء

سلبوه حقّه الإلهي! ٢٩

علي وما أدراك ما علي عليه السلام !! ٣٠

أبناء الدنيا أعداء علي ٣٠

حب الدنيا أعمى قلوبهم! ٣١

بين الثورة والدار! ٣٢

لم يحن وقت القيام! ٣٢

صبرٌ على الطخية العمياء! ٣٣

صبرٌ يكشف أهل النفاق! ٣٣

صبرٌ فيه قذى وشجى! ٣٤

السقيفة أساس كل ظلم وانحراف! ٣٥

الشقشقة الثانية: أمواج الفتن وسفن النجاة

خداع أعداء علي عليه السلام ! ٣٩

وعليٌّ عليه السلام ينظر ويسمع! ٣٩

الأعداء واستغلال المواقف! ٤٠
سُفُنُ النّجاة من الفتن! ٤١
عرِّجوا عن طريق المنافرة! ٤١
ضعوا تيجان المفاخرة! ٤٢
انهض بجناح أو صبر الأرواح! ٤٢
الخلافة للدنيا؟! ٤٣
الموقف عند الفتنة! ٤٤
الحزب الأموي وحزب السلطة! ٤٤

الشقشقة الثالثة: حزب النفاق وإقصاء الإمام علي (ع)

حركة النفاق ومنهج عملها! ٤٩
المنافق .. العدو الداخلي! ٥٠
هم العدو .. فاحذرهم! ٥١
استمرار حركة النفاق إلى يومنا هذا! ٥١
لشدّ ما تشطرا ضرعيها! ٥٢
ما كان صادقاً في دعواه! ٥٣
الدنيا .. تفضح أبنائها! ٥٣

الشقشقة الرابعة: الظالم الثاني والدوزة الخشناء

هكذا يكون خليفة الرسول ﷺ! ٥٧
الطبع الجافي والقلب القاسي! ٥٨
كثير الأخطاء وكثير الاعتذار! ٥٩
لا الشد ينفع ولا الإسلاس يفلح! ٥٩

ضلّ وأضلّ وأشقى الأمّة! ٦٠
عشر سنواتٍ مُظلمة! ٦١
الثاني وخيوط المؤامرات! ٦٢

الشقشقة الخامسة: فيالله وللشورى!!

حزب النّفاق وإقصاء الإمام علي عليه السلام! ٦٥
ما جعلوه في الشورى حقيقة! ٦٦
جَعْل الإمام في الشورى لخداع الناس! ٦٦
بالبصيرة ينفضح مخطط الشورى! ٦٧
ولِمَ المحور ابن عوف؟! ٦٨
ومتى اعترض الريب في علي عليه السلام ؟! ٦٨
أدخلوه الشورى مُكْرَهاً! ٦٩
بمكيدة الشورى أبعدوه مرةً أخرى! ٦٩
هناك يستولي الشيطان! ٧٠

الشقشقة السادسة: الظالم الثالث بين نعليه ومعتلفه

ولِمَ هؤلاء الثلاثة؟! ٧٣
لأنّهم من حزبٍ واحد! ٧٤
الانحراف يبدأ من السقيفة ويحط رحله بملك ابن هند! ٧٤
الأمّة الأسيرة لحزب النفاق! ٧٥
يقظة الشعوب وتحررها! ٧٥
حزب النفاق وجهل الناس! ٧٦
الأمة الواعية وطريق الكمال! ٧٦

بالفكر والإدارة تكون السيادة! ٧٧
الأمّة التي لا تُعظّم العظماء! ٧٨
بين نثيله ومعتلفه! ٧٨
وبئرٍ معطلة وقصرٍ مشيد! ٧٩
الإسلام العثماني وشقاء الناس! ٨٠
السياسة العثمانية الانحرافية! ٨١
عثمان وآل أمية! ٨١
خضموا مال المسلمين خضماً! ٨٢
وإلى متى الصبر؟! ٨٢
فكان لابد من الثورة والقيام؟! ٨٣
إمّا أن يرجع إلى رشده وإما الثورة التي تسقط عرشه! ٨٣

الشقشقة السابعة: الإمام علي (ع) والدق المسلوب

الأمة تتحرر من الأسر! ٨٧
الأمة الواعية المريدة وتقرير مصيرها! ٨٨
الأمة تختار علياً عليه السلام! ٨٩
بتنوير العقول وكسر القيود تتحرر الشعوب! ٨٩
أهداف الثوار والانعطافات الخطيرة! ٩٠
الثورة والقيام لله تعالى! ٩٠
البصيرة في المنطلقات والأساليب والأهداف! ٩١
الأهداف المتباينة للثوار! ٩٢
أولياء الله وأولياء الشيطان .. والقيام! ٩٣

الرؤية الإلهية في تقييم الثوار والثورات! ٩٤
طاغوتٌ يخلف طاغوتاً! ٩٥
الثوار وعقبات المسير! ٩٥
القيام بالثورة وبناء الدولة! ٩٦
مرحلة الثورة ومرحلة الدولة ومتطلباتها! ٩٧
الأمة ثارت ولكنها هل ستستقيم؟! ٩٨

الشقشقة الثامنة: حزب النفاق يعود لدرب الإمام (ع)

طلب العلو والإفساد في الأرض! ١٠١
حب الدنيا رأس كل خطيئة! ١٠٢
وإنما بدأ وقوع الفتن وأهواء تتبع! ١٠٣
حاربوا علياً لأنه يهدد دنياهم! ١٠٣
الدنيا تتلون لأبنائها فتخدعهم! ١٠٤
أولاً: مع الناكثين و«حزب الجمل» ١٠٥
كانوا من السابقين! ١٠٥
لأنهم كانوا مع الله! ١٠٦
طريق ذات الشوكة والمنزلقات! ١٠٦
من حب الله إلى حب الدنيا! ١٠٧
وهكذا خسروا! ١٠٨
قصة طلاب الرئاسة في كل الأزمان! ١٠٩
ثانياً: مع القاسطين و«حزب صفين» ١١٠
ما أسلموا ولما وجدوا أعواناً أظهروا الكفر! ١١٠

قائدهم معاوية ومؤدبهم ابن النابغة! ١١١
معاوية يغدر ويفجر! ١١٢
حارب علياً ظلماً وعلواً! ١١٣
حزب الشيطان لا يكفّ عن مناجزة حزب الله! ١١٤
ثالثاً: مع الخوارج و«حزب النهروان» ١١٥
عاشوا جهّالاً وماتوا ضلالاً! ١١٥
غرهم الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء! ١١٦
نصبوا للناس أشراكاً من حبائل الغرور! ١١٨
عاشوا أمواتاً وأماتوا أحياءً! ١٢٠
خطر القشريين على المجتمعات! ١٢١
داعش .. خوارج هذا الزمان ١٢٢
تمهيد ١٢٢
حربٌ ناعمة وأخرى عسكرية! ١٢٥
داعش وخيوط المؤامرة! ١٢٦
داعش واستنزاف الأمة! ١٢٧
والاستكبار ينتظر الفرصة للانقضاض! ١٢٨
لا خيار مع داعش إلا الحرب! ١٢٩
من الإمام علي عليه السلام إلى القائد علي!! ١٢٩

الشقشقة التاسعة: القيام بالأمر والخلافة

تمهيد ١٣٧
أولاً: حضور الحاضر والقيام بالأمر: ١٣٨

الخلافة المغصوبة! ١٣٨
ولكن الناس أنفسهم يظلمون! ١٣٩
الدنيا في عين الإمام علي عليه السلام! ١٤٠
القيام بالواجب الإلهي! ١٤٢
الإمام الخميني والحكومة العلوية! ١٤٢
العمل في الحكومة الإسلامية! ١٤٤
العمل في السياسة والحكومة ليس من الدنيا المذمومة! ١٤٥
الدنيا منتنة موبوءة! ١٤٦
ثانياً: قيام الحجة بوجود الناصر ١٤٧
حاكمٌ على الناس من قبل السماء! ١٤٧
دور الأمة والشعب إضفاء القدرة والفعلية لا الشرعية! ١٤٨
انتظر الأمير عليه السلام حتى تفيق الأمة من سباتها! ١٤٩
وجود الناصر يحقق شرط القيام! ١٤٩
الفقيه حاكم على الناس من قبل السماء! ١٥٠
ثالثاً: العلماء .. للظالم خصماً وللمظلوم عوناً ١٥١
العلماء ومقارعة الطغاة! ١٥١
لن يهنأ للعلماء عيش! ١٥٢
العلماء رحمةٌ للمستضعفين! ١٥٢
والعلماء .. شوكة في عيون الطغاة! ١٥٣
الطغاة وعلماء البلاط! ١٥٤

الخاتمة: بحث حول النفاق في صدر الإسلام

تمهيد ١٥٩

تعريف النفاق ١٥٩

المنافقون والوعيد الإلهي..... ١٦٠

المنافقون أشد أعداء الدين!..... ١٦٠

المنافقون وصورٌ من كيدهم وإفسادهم!..... ١٦١

متى بدأت حركة النّفاق؟!..... ١٦٢

استدلال القائلين بأن حركة النفاق قد بدأت بعد الهجرة ١٦٢

استدلال القائلين بأن حركة النفاق قد بدأت قبل الهجرة ١٦٤

الدواعي والأسباب المختلفة للنفاق ١٦٤

نهاية حركة النفاق! ١٦٩

حركة النفاق بعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ١٧٠

الخطبة الشقشقية .. وثيقة تكشف أوراق النفاق!..... ١٧٢

الإهداء

إلى العظيم المُصفّد بالحديد ..

إلى الزعيم المثقّل بالألم الشديد ..

إلى المغيّب بالطوامير في زمن مديد ..

إلى الطريد ..

إلى البعيد ..

إلى سجين الرشيد ..

إلى حليف السجدة الطويلة ..

وَالدُّمُوعِ الغَزِيرَةِ ..

وَالمُناجاةِ الكَثِيرَةِ ..

إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ..

وإلى السائرين على نهجه ..

المغيّبين في طوامير السجون..

أهدي هذا الكتاب ..

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أفضل الصلاة والسلام على محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين واللعن الدائم المؤبد على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

من الأمور المهمة في حياة الإنسان الشيعي هو النظر والتأمل في آثار المعصومين عليهم السلام، ومن أبرز هذه الآثار هو نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام، حيث يكفي هذا الكنز الكبير بأن يمسك بيد الإنسان ويسلك به إلى الملكوت الأعلى، بالإضافة إلى اكتساب الوعي والبصيرة السياسية من خلال حِكَم أمير المؤمنين عليه السلام، إذ نستطيع القول بأن كتاب نهج البلاغة هو من أهم الكتب التي من الضروري قراءتها لمعرفة السير والسلوك إلى الله وامتلاك البصيرة العلوية في يومنا هذا.

قام الأسير الشيخ زهير عاشور فك الله أسره بشرح الخطبة الشقشقية لأمير المؤمنين عليه السلام، حيث تحتوي هذه الخطبة على السير التاريخي الذي عاشه أمير المؤمنين عليه السلام مواكباً الهم والغم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

يعتبر سماحة الشيخ زهير عاشور فرج الله عنه قيادياً في تيار الوفاء الإسلامي، اعتقل في ١٨ يونيو عام ٢٠١٣، وصدر بحقه حكم بالسجن

٧٥ عامًا في ثلاث قضايا مختلفة.

كتاب شقشقة المظلوم هو الكتاب الثالث عشر من سلسلة من داخل السجن، حيث جعل دار الوفاء للثقافة والإعلام على عاتقه نشر الآثار المكتوبة من داخل السجون البحرينية، سائلين المولى عز وجل الفرج للأسرى والرحمة للشهداء.

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

دار الوفاء للثقافة والإعلام

تمهيد

شقشقة المظلوم .. دعوة لاستحضار الماضي وأحداثه في أشد منعطفاته، وأحلك ظروفه وأقسى أفعاله، وذلك من أجل الاعتبار والنظر ببصيرة الفؤاد لما سوف يحدث في المستقبل من أحداث؛ فالماضي مرآة للحاضر والمستقبل.. فمن سبر الأغوار وقرأ التاريخ، بل وعاش معهم كأحدهم، فإنه لن يقع فيما وقع فيه السابقون من هفوات ومنزلقات وضلالات، فـ«مَنْ كَثُرَ اعْتِبَارُهُ قَلَّ عِثَارُه»[1]، وكما جاء في كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام وقد كتبه لأحد شيعته: «واعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً وآخِرَهَا لَاحِقٌ بِأَوَّلِهَا»[2].

شقشقة المظلوم .. تحكي عن أخطر مرحلة عصفت بالأمة الإسلامية، كاد الكفر أن يعود مجدداً، والإسلام الفتي أن يزول، لولا الوعد الإلهي بحفظ هذا الدين الذي تحقق على يدي أمير المؤمنين عليه السلام، فقد كان الانقلاب صريحاً، والارتداد على الأعقاب سمجاً قبيحاً، والمؤامرة قد

١- تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، ص:٤٧٢

٢- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٤٥٩

تشارك فيها أغلب أفراد الأمّة من عوام وخواص، ولقد كان للخواص والنخب الدور المحوري في هذا الانحراف والاعوجاج، حيث وجدوا أنّ الالتزام بالإسلام ووصايا النبي الهمام ﷺ، والعمل بما أوصى به من التمسك بالثقلين، والإذعان لأمير المؤمنين عليه السلام ما يتعارض مع مصالحهم الشخصية الدنيوية، وأهوائهم النفسية الدنيّة، فانقضّوا على الخلافة الإلهية، واعتبروها من المناصب الدنيوية، فتسابقوا لنيلها والحصول عليها، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ وغَالَتْهُمُ السُّبُلُ واتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ ووَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ وهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ ونَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ وذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ»[1]

شقشقة المظلوم .. تختزل المسيرات الخيانية والانقلابات الشيطانية على مرّ السنين والأعوام، والتي تقوم على أساس التجارة الخاسرة لبيع الدين وشراء الدنيا، ومحبّة الشيطان وأوليائه على حساب عداوة الله وأوليائه، وما يترتب على ذلك من ويلات وفجائع ومصائب تلحق بالإسلام وأهله، وتشقي النّاس في دنياهم وأخراهم، وأعجب ما في هذه المسيرات الخيانية أنّ المساهمين فيها هم أشخاصٌ كان لهم تاريخ مشرق في نُصرة الإسلام وأهله، ويعدون - ظاهراً- من الصف الأول منه! فلم يكن يقدر على كشف ذلك الخداع وإماطة اللثام عن ذلك

١- المصدر نفسه، ص:٢٠٩

الانقلاب إلا الأمير عليه السلام؛ حيث يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ ولَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا واشْتَدَّ كَلَبُهَا»[1]

شقشقة المظلوم .. تأمر الشعوب بأن تستند في مواقفها على البصيرة والوعي، وأن تتخذ قراراتها بأنفسها، وأنّه لابد لها أن تُحكِّم العقل، وتجري التحليل إذا ما أرادت أن تقوم بأي عمل أو تتخذ أي موقف أو تختار خطاً ومنهجاً؛ فهي تفهم أولاً ثم تتخذ القرار فتبادر إلى العمل! وتحذر الشعوب من أن تُسلب منها القابلية على تحليل الأمور ودراستها، فتُساق وتُحرّك كالقطعان خلف التيارات العامة، ولا تتأثر بالأجواء السائدة ولو كانت تائهة ضائعة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يصنّف المجتمع إلى ثلاثة أقسام: «النَّاسُ ثَلَاثَةٌ فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ ومُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ وهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ ولَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ»[2]

فلكي تحيى الشعوب، وتنجو من موت الأرواح والقلوب، ويهنأ لها العيش كباقي الأحرار والكرماء، فلتكن في كل حركاتها وسكناتها الفردية منها والاجتماعية والسياسية مستضيئةً بنور العلم والبصيرة، ومستندة إلى الركن الوثيق، وإذا ما تأثرت بالأجواء السائدة، ولم تُحكّم المعايير والموازين الحقّة، وارتضت بالتيارات المختلفة بدلاً من طلب الحقّ والحقيقية، فسوف تُشقِي نفسها بالابتلاء، وبعيش الهمج الرعاع، وتختم

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:١٣٧

٢- المصدر نفسه، ص:٤٩٦

مسيرة حياتها بالتيه والضياع!

شقشقة المظلوم .. تجسّد سبيل ومنهج أهل البصائر الذين لا ترعبهم كثرة أهل الباطل وكيدهم، ولا توحشهم قلّتهم وكثرة عدوهم، فهم يواصلون طريق الحقّ بكل صلابة، متخذين كل الأخطار، متجاوزين كل العقبات، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ وجُوعُهَا طَوِيل»[1].

فالدنيا وأهل الدنيا في عداء دائم ومستمر مع الآخرة وأهل الآخرة، فلم ولن يجتمع الفريقان أبداً، والمعركة بينهما دائمة الاستعار، ولهيبها يزيد في الأوار ما بقي ليل أو نهار!

وهيهات أن يقدر على الجمع بين أهل الدنيا وأهل الآخرة إنسان كائناً من كان، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا ومُهْطِعُونَ إِلَيْهَا وقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ ورَأَوْهُ وسَمِعُوهُ ووَعَوْهُ وعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ فَهَرَبُوا إِلَى الْأَثَرَة»[2]

شقشقة المظلوم .. تبين المعيار الربّاني والميزان الإلهي على طول المسار الإنساني، بأن لا محورية للأشخاص، ولا للأحزاب، ولا للتيارات، وإنّما المدار على الحق أينما كان، فمن عرف الحق عرف أهله، ومن عرف الباطل عرف أهله.

١- المصدر نفسه، ص:٣١٩

٢- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٤٦١

أمّا أن تكون معرفة الحقّ حاصلةً من خلال الأشخاص والذوات والأحزاب والتيارات، ومن خلال عرض الحق على الرجال، فهو سبب للسقوط والهلاك والتحيّر والضلال، ففي حادثة حصلت في زمان أمير المؤمنين عليه السلام نجد أنه يردّ على الحارث الذي أتاه وهو شاكٌّ في حقانية أمير المؤمنين ومحاربته لأهل الجمل وضلالهم، فيقول له: «فَقَالَ ع يَا حَارِثُ [حَارِ] إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ ولَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتَ إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ [أَهْلَهُ] ولَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاه»[1]

«فالمجتمع الذي يبسط الحقّ سيادته فيه، وتكون الكلمة الأولى للموازين الحقّة لن يكون هناك سجال المناورات والتضليل وإلا سيتحول ذلك المجتمع إلى بؤرة للرياء والخداع وإلى فكر يعشعش فيه الانتهازيون فيغيرون الأجواء ويفتعلون التوتر»[2].

شقشقة المظلوم .. تختصر المسافات بأوجز البيانات، وتنير الطريق لطالب الكمالات، وتبين المعالم الحقّة لتشييد المجتمعات، فتوضّح طريق الاستقامة والفلاح من خلال التركيز على أهم الصفات التي منها: التمتع بالبصيرة والوعي، ووضوح الرؤية، وانشراح الصدر، والذي يمكنهم من خلالها تشخيص طريق الحياة الطيبة المضيئة في الليالي الكالحة المظلمة، بحيث يجعلون الحقّ شاخصاً لهم في جميع مواقفهم.

«ليس الأعمى من يعمى بصره إنّما الأعمى من تعمى بصيرته.»[3]

١- المصدر نفسه، ص:٥٢١

٢- رسالة الخواص

٣- نهج الفصاحة، مجموعة كلمات قصار للنبي محمد صلى الله عليه وآله، ص:٦٥٦

وفي المنعطفات المظلمة الخطيرة، وعند تلبّد سماء الأفكار بالآراء المنحرفة واللقيطة، لا يكون المنجى والخلاص إلا لمن تمتّع بالبصيرة الثاقبة الحديدية، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وَلَا يَحْمِلُ هَذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ والصَّبْرِ والْعِلْمِ [بِمَوَاقِعِ] بِمَوَاضِعِ الْحَق»[1]، ومن ثمَّ فهم يقفون مع الحقّ ويدافعون في الوقت المناسب، فلا تتأخر نصرتهم له، ولا يتأخرون في الذود عنه.

فهم يغتنمون الفرصة، ولا يضيعونها فتكون عليهم غصة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مِنَ الْخُرْقِ الْمُعَاجَلَةُ قَبْلَ الْإِمْكَانِ والْأَنَاةُ بَعْدَ الْفُرْصَة»[2]، وهم الثابتون على الحق الناصرون له ما دام مرجواً، ويتحملون تبعات ومشقّة هذا الثبات في سبيل الله تعالى.

فلم يتوقفوا ولم يتراجعوا بل صمدوا واستقاموا، يقول تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ ومَنْ تابَ مَعَك﴾[3]

شقشقة المظلوم .. تكشف النقاب، وترفع الستار عن أسباب الانحراف، حيث تؤكد على أن رأس كل الانحرافات هو «حب الدنيا»، هذا الحب الذي يتجلى في مظاهره المختلفة: من «حب الذات»، و«عبادة المال»، «الشهر بالرئاسة والجاه»، فإن السبب الرئيس في العدول عن الحق والارتماء في أحضان الباطل هو هذا الحب الكاذب، حب الدنيا!

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٢٤٨

٢- المصدر نفسه، ص:٥٣٨

٣- هود: ١١٢

فإذا تحولت الدنيا إلى معبود يعبد من دون الله فإنّها سوف تصبح مسلخاً يُنحر على أعتابها كل القيم الإلهية، وسوف تستبدل بما يناقضها من قيم شيطانية أرضية! يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أَنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ ووَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُم»[1].

وبذلك يتضح: «أنّ حب الدنيا يمثل سرّ الأسرار في الإعراض عن الحقّ»[2]، وهو السبب الرئيسي في التقاعس عن نصرة الحق.

شقشقة المظلوم ..

شقشقة هدرت ثم قرّت، فأخرجت ما في قلب التاريخ من مكنون، وعرضت اللآلئ من صدره المحزون..

شقشقة هدرت ثم قرّت، ففضحت الأفعال وكشفت زيغ الأشخاص وما تنطوي عليه سرائر الرجال.

شقشقة هدرت ثم قرّت، فبينت كيف أعيدت العصبيات العرقية والقبلية، وكيف غدت القيم الإلهية ضحية للقيم الجاهلية.

شقشقة هدرت ثم قرّت، ترسم معلماً واضحاً للسائرين على نهج الأولياء بأوجز نداء عن أمير المؤمنين أمير البيان.

١- نهج البلاغة، مصدر سابق، ص:٢٧٩

٢- رسالة الخواص، ص:٦٥

الشقشقة الأولى:
الظالم الأول والطغية العمياء

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أَمَا واللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ [ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ] وإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ولَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً وطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ويَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ ويَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبَرْتُ وفِي الْعَيْنِ قَذًى وفِي الْحَلْقِ شَجًا أَرَى تُرَاثِي نَهْباً»[1]

سلبوه حقّه الإلهي!

إنّها الخلافة الإلهية التي فُصّلت بمقاس أمير المؤمنين عليه السلام، فلا تليق لغيره، ولا يصلح لها إلا هو. فهي هبة السماء، وعطيّة الإله للعباد، ونور أرسله الله لهداية سالكي طريق الرشاد وعليٌّ قُطب رحى هذه الأمّة، ومشيّد الدّين ومثبت أركانه، بفدائه وتضحياته، وشجاعته وسخائه،

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٤٨

فـدى الديـن والإسـلام منـذ كان طفـلاً صغيـراً، حتـى صـار كهـلاً كبيـراً! إنّـه الثقـل الـذي بـه عُـرف الكتـاب، وبـه عُـرف، فلـم يلحقـه سـابق، ولـم يقـدر علـى مجاراتـه لاحـق، ولكـن لِـمَ تقـدّم عليـه مـن تقـدم؟!

يقـول أميـر المؤمنيـن عليه السلام: «فَاعْلَـمْ أَمَّـا الِاسْـتِبْدَادُ عَلَيْنَـا بِهَـذَا الْمَقَـامِ ونَحْـنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً والْأَشَـدُّونَ بِالرَّسُولِ صلى الله عليه وآله نَوْطاً فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَـحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَـوْمٍ وسَـخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ والْحَكَمُ اللهُ والْمَعْوَدُ إِلَيْهِ يَـوْمُ الْقِيَامَـةِ [الْقِيَامَـةُ]»[1]

علي وما أدراك ما علي عليه السلام !!

إنّـه علـيٌّ عليه السلام فـي علمـه وحلمـه وكرمـه وجـوده وشـجاعته وزهـده، وورعـه وتقـواه!

إنّه عليٌّ عليه السلام قمّة كل كمال ورأس كل خير، نبع الكوثر وماء السلسبيل ومزاج تسنيم الذي يشرب منه المقربون!

إنّه عليٌّ عليه السلام الذي ارتقى في العلياء حتى عجزت الطيور عن التحليق في سمائه، وتسامى حتى يئس كل جناح من الطيران في فضاء كماله.

نعم؛ إنه علي الذي ينحدر عنه السيل، ولا يرقى إليه الطير.

أبناء الدنيا أعداء علي

ولكـن أبنـاء الدنيـا واللاهثيـن وراء حطامهـا، المغروريـن بمتعهـا،

١- المصدر نفسه، ص:٢٣١

والمخدوعين بزينتها، والطامعين في العلو والرفعة فيها حسدوه، وأبغضوه وعادوه؛ فسلبوه ما وهبه الله إياه، ونهبوا ما وضعه الله عليه. سلبوه الخلافة وأبعدوها عنه، وأبعدوه عنها، وهم يعلمون من هو، وأنّه الأحق بها، وأنّه لا حق لغيره فيها «أَرَى تُرَاثِي نَهْباً».

فهم علموا بكل ذلك ولكن ﴿وَجَحَدُوا بِها واسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وعُلُوًّا﴾[1]، فقد كان طلبهم للعلو وعيشهم في ظلمات الظلم، وسعيهم في الإفساد وهتك المقدسات، كل ذلك كان سبباً يمنعهم من العمل بما يستيقنون، فبينهم وبين الموعظة حجاب من الغرّة! وكيف يُقدّمونَ عليّاً وفي ذلك زوال محبوبتهم الدنيا ومعشوقتهم الغرور؟!

حب الدنيا أعمى قلوبهم!

أبعدوا علياً عليه السلام عن علم وعمدٍ، لا عن جهل بمقامه وحقّه، ولا عن لبس في شأنه ومكانه، وإنما أبعدوه ليحققوا ما يصبون إليه، ويحصلوا على ما كانوا يخططون للوصول إليه؛ سعوا للدنيا من بداية إسلامهم، وها هي الدنيا بلباس الخلافة قد جاءتهم، وها هي الآن في متناول أيديهم، فكيف لهم أن يتركوها، وأنّى لهم بفراقها؟!

لقد انقضّوا على الخلافة وتقاسموا ضرع متعها، وتركوا صاحبها حبيس الدار، وتقدم المفضول على الفاضل - إن كان يملك أحدٌ منهم فضلاً - ولعبوا بمقدرات الأمّة، وعاثوا فيها فساداً؛ يحدوهم الجهل، ويسوقهم الحقد على الإسلام، ويقودهم العداء لأمير المؤمنين عليه السلام.

١- النمل: ١٤

بين الثورة والدار!

وما عسى الأمير أن يفعل بعد أن سلبوه حقّه، وتعاضدوا على حربه، وتناهبوا إرثه؟!

فهل يقوم بالثورة والحرب ضد من سلبه حقه الإلهي فيناجزهم القتال، ولا يقبل بما آلت إليه الأحداث؟ أو أنّه يصبر ويتحمل مثل هذا الوضع المرير؛ حيث إن الجلوس والصبر اليوم خير من الثورة والقيام؛ يقول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يبين شدّة الأمر وصعوبة الخيارات: «فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ وإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا والَّتِي واللهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ»[1]

لم يحن وقت القيام!

هل يثور؟ وبمن يثور؟! إنّه لا يملك ناصراً ولا معيناً! فهل يقوم بنفسه وبخاصة أهله وصحبه، فيذهب ويذهبون، فتخلو الأرض منهم جميعاً! وهل من الصلاح أن يذهب شهيداً في مثل هذا الظرف الحساس، والإسلام في أمسّ الحاجة إليه، حيث إن الإسلام لم يُبيّن بتفاصيله إلا له، فهو محتاج إلى بيانه، وشرحه وتفصيله وتفسيره، ولا يقوم بهذه المهمّه إلا هو!

وإذا ذهب ورحل شهيداً:فمن للإسلام والمسلمين؟ فهل من المناسب

١- نهج البلاغة، الخطبة (٥)

أن يقوم بالثورة اليوم والحال أن الإسلام مازال فتياً لم يشتد عوده، ورخواً لم يقو غُصنه، وقد قلّ أنصاره وكثر أعداؤه؟! وهل يفعل فعلاً تكون عاقبته نهايه الإسلام، وهو الذي أقامه وشيد بنيانه، وهل يحرّك ساكناً، فيكون سبباً في زواله وهو الذي ثبت أركانه؟!

نعم؛ لا حكمه اليوم في الثورة والقيام، مع عدم وجود الأنصار والأعوان، وعدم أوان الأوان!! يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «ومُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالـزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ»[1].

صبرٌ على الطخية العمياء!

لا ثورةٌ ولا قيام، فصبرٌ على عجاف السنين ومرارة الأيام وتحمّل للطخية العمياء والظلمة الدكناء التي لا يهتدي في غيابها إلا القليل، ويتيه فيها الكثير الكثير! هكذا كانت فترة الغاصبين الثلاثة؛ حيث أظلم الطريق على السالكين، وطالت فيها المحنة حتى هرم الكبير، وشاب فيها الصغير، وتمرمر فيها المؤمنون، وكدحوا حتى لاقوا ربهم محتسبين!

صبرٌ يكشف أهل النفاق!

صبر الأمير عليه السلام وما أعظم صبره وما أعجب تحمله! صبر وتحَّمل؛ لأن الصبر كان أولى، وتحمَّل لما كان ذلك عين الحكمة والحجى، فبهذا الصبر الجميل وتجشّم العناء المرير أمكن كشف أقنعة أهل البغي والنفاق ومن ثم التعرف على أهل الضلال والشقاء، وعُرف المخادعون

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٥٢

والمتملقون، وبانت معالم أهل الحق، وامتازوا عن أهل الباطل.

وإن احتاج ذلك إلى مرور الأعوام والسنين؛ حيث كان النفاق خفيّاً ومكائد أهله غير جلية!

صبرٌ فيه قذى وشجى!

صبر الأمير عليه السلام ولكن بعينٍ قد آلم قذاها، وبحلقٍ قد أوجع الشجى حياة مكابد غصصها من مصائب مهولة وخطوب فادحة مروعة!

وكيف لا تقذى ولا يشجى .. وهو يرى كيف تُدار الخلافة بالجهل والجهالات والإعراض عن القيم الإلهية والعمل بالقيم اللادينية، بأيدي رجالٍ قد مرضت قلوبها وتعفّنت، فأزكمت الأنوف النّقية والقلوب الزكية!

كيف لا تقذى ولا يشجى .. وهو يرى تراثه الرباني وحقه الإلهي يتلاعب به أبناء الدنيا؛ حيث ضلوا وأضلوا وزاغوا وانحرفوا!

كيف لا يقذى ولا يشجى .. وهو يرى كيف يسلكون بالناس إلى الجحيم، ويسلبونهم سعادة الدارين، كل ذلك جراء أطماع حزب فاسق منافق قد استغل جهل الناس، وتسلّق على أكتاف الفقراء والعباد، فعاث في الأرض الفساد!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فَلَمَّا مَضَى صلى الله عليه وآله تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ فَوَاللهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صلى الله عليه وآله عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ فَأَمْسَكْتُ [بِيَدِي] يَدِي حَتَّى

رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دَيْنِ مُحَمَّدٍ ص فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلَايَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلَائِلَ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ [وَ] أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وزَهَقَ وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وتَنَهْنَه»[1]

السقيفة أساس كل ظلم وانحراف!

فبـ«السـقيفة» تـمّ إقصـاء الوصـي الشـرعي عـن مقامـه، وهُجـم علـى داره، وأُضرمت النّار بباب فاطمة عليها السلام وعُصِرَت ما بين الحائط والباب .. فكانـت فاتحـة كل الجسـارات علـى أهـل البيـت عليهم السلام!

وبـ«السـقيفة» ضيقوا على أهل البيت عليهم السلام اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً، فلم يطيقوا بكاءها على أبيها، وأخذوا منها فدكاً نحلة أبيها، كما منعوا بني هاشم الخُمس إمعاناً في أذية بعلها وبنيها!

وبـ«السقيفة» مُنع بنو هاشم من تولي أية مناصب حكومية!

وبـ«السـقيفة» بُسـطَت يـد الأمويـين فـي تولـي المناصـب الحكوميـة؛ حيـث شـكلت نسـبتهم فـي حكومـة أبـي بكـر حوالـي الثلـث!

وبـ«السـقيفة» انتعشـت روح القبلية بعد أن أخمدها الإسلام بتعاليمه الرفيعة السامية!

١- نهـج البلاغـة، صبحـي صالـح، ص:٤٥١ «الكتـاب ٦٢ ومـن كتاب لـه عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر [رحمه الله] لما ولاه إمارتها»

وبـ«السـقيفة» تمـت محاصـرة السـنّة النبويـة علنـاً بعدمـا كانـوا ينهـون عـن ذلـك سـراً؛ حتـى قالهـا الأول «فـلا تحدثـوا عـن رسـول الله شـيئاً»[1]، كل ذلـك تحـت غطـاء خشـية انتشـار الاختـلاف فـي الأمـة!

وبـ«السـقيفة» نشـأت حالـة الشـلل النفسـي فـي الأمـة؛ حيـث اعتـزل جُـلّ الأنصـار وبعـض المهاجريـن اعتراضـاً علـى نتيجـة السـقيفة وندمـاً علـى التفريـط بحـق الإمـام علـي عليه السلام، ولـم تكـن عندهـم الإرادة علـى النهـوض عندمـا دعاهـم للنصـرة! وهـذا الشـلل النفسـي تراكـم فـي الأمـة حتـى انقلبـت الرؤيـة، وانتكسـت، فـرأوا الباطـل حقـاً والحـق باطـلاً!![2].

١- روى الذّهبيّ أنّ أبا بكر جمع النّاس بعد وفاة نبيّهم، فقال: «إنّكم تحدّثون عن رسول الله صلى الله عليه وآله أحاديث تختلفون فيها، والنّاس بعدكم أشدّ اختلافا، فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئا فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه»، تذكرة الحفاظ بترجمة أبي بكر ١/ ٢-٣.

٢- مع الركب الحسيني، ج:١، ص:٩٢-١٠١

الشقشقة الثانية:
أمواج الفتن وسفن النجاة

خداع أعداء علي عليه السلام!

«عندما تم أمر البيعة - في سقيفة بني ساعدة - لأبي بكر، أراد أبو سفيان أن يوقع الحرب بين المسلمين ويقتل بعضهم بعضاً، فيكون ذلك دماراً للدّين وذهاباً لشوكة المسلمين! فمضى إلى العباس - عم الرسول صلى الله عليه وآله - فقال له: يا أبا الفضل إن هؤلاء القوم ذهبوا بهذا الأمر من بني هاشم، وجعلوه في بني تميم، وإنه ليحكم فينا غداً هذا الفظ الغليظ من بني عديّ! فقم بنا حتى ندخل على علي عليه السلام ونبايعه بالخلافة وأنت عم رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا رجل مقبول القول في قريش، فإذا دافعونا عن ذلك: قاتلناهم وقتلناهم!!»[1]

وعليٌّ عليه السلام ينظر ويسمع!

وعليٌّ عليه السلام ينظر ويسمع، ويتأمل في هذه النصرة التي جاءته، وهو

١- شرح نهج البلاغة، البحراني، ج١، ص:١٦٧ بتصرف

في أمس الحاجة إلى الناصر!

وها قد جاءه رجلان نافذان قويان مسموعة كلمتهما مطاع أمرهما: إنّهما العباس وأبو سفيان، جاءاه معلنين الرفض للأول والثاني، ومصرّين على أنّه الأحق في الخلافة الإلهية ولبني هاشم!

فهل يقبل الأمير عليه السلام بهذه النصرة فيثور على الغاصبين؟!

كلا، لأنّه علي عليه السلام وهو يعرف من هو أبو سفيان عدو الإسلام اللّدود الذي لم يُسلم وإنّما استسلم ونافق وهو لا يريد خيراً من هذه النصرة، ولا ينبغي أن يرجع الحق إلى أهله وهو لا يُكنّ حباً لعلي عليه السلام ولا لبني هاشم حتى يأتي لنصرتهم، وإنّما أراد من هذه النّصرة الخديعة وإيقاع المسلمين في الفتنة!

الأعداء واستغلال المواقف!

وهكذا الأعداء، يستغلّون مثل هذه الظروف الحالكة في الظلمات الكالحة على الطرقات الوعرة حيث يقل النّاصر، فيعرضون النصرة، وتشتد الظلمة، فيأتون بالشمعة، وينتشر الظلم، فيثورون اعتراضاً على الظلمة!

والأمير عليه السلام يحذِّر من أمثال هؤلاء المخادعين الذين لا يريدون رفع ظلم ولا إضاءة طريق ولا نصرة مظلوم! وإنما يريدون أن يحققوا أهدافهم، ويحصلوا على دنياهم، ويفرقوا الأهل، ويشتتوا الشمل، وتشب الحرب، ويقع القتل .. فلا أمن ولا أمان ولا بر أمان؛ بل رجوع إلى الجاهلية الظلماء!!

سُفُنُ النّجاة من الفتن!

إن حركة الفتن في المجتمعات مشابهة للأمواج المتلاطمة في المحيطات، فكما أنّ الأمواج المتلاطمة تسبب الهلاك والفناء للخائضين فيها، كذلك الفتن تسبب الهلاك للواقعين في شراكها وحبالها!

وكما أنّ النجاة من تلك الأمواج الهائجة يكون بالسّفن القوية والمحصنة القادرة على مواجهة تلك الأمواج العاتية، كذلك يكون النجاة من الفتن الاجتماعية والسياسية بركوب سفن النجاة فيها، وهي:

الصبرعلى الفتن حتى يخبو هيجانها.

أو المداراة حتى تخف أمواجها.

أو المهادنة حتى تذهب بجنونها.

فبهذه السفن يتوصَّل إلى السلامة!

عرِّجوا عن طريق المنافرة!

وفي مثل الظروف الخانقة، والليالي المظلمة، والطرق الوعرة، والتي لا يستطيع أكثر الناس أن يُشخّصُوا الحق وهديه والباطل وغيّه، ويُعرف الحق وأهله والباطل وحزبه، ومع قلّة الأنصار وعدم إحراز الانتصار، وعدم ملاءمة الأحوال، فإنّه لا ينبغي إبراز المنافرة والعداوة، ولا الحرب والاحتراب في المجتمع الواحد، بل لابُدّ من الابتعاد - قدر الإمكان - عن أي شيء يسبب المنافرة والشجار والمخالفة.

وهذه سفينة من سفن النجاة!

ضعوا تيجان المفاخرة!

وفي ظروف الفتنة لا ينبغي أن يُحّرك في المجتمع ما يكون سبباً لتهييج الأضغان، ومُوجباً لإثارة الأحقاد، وعاملاً في زيارة أوار الافتتان؛ كالتفاخر والانتساب بالعشائر والأقوام؛ فالإسلام لا يرفع عشيرةً على عشيرةٍ ولا قوماً على قوم، ولا يرى فضلاً لأحد على أحد ولا جماعة على جماعة إلا بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

وبالتقوى: يُصلح ما فسد من أمر العباد والبلاد، لا بمثل هذه الأمور التي تزيد الأمور سوءاً، والظلمة عتمة، والجرح نزفاً.

وهذه سفينة أخرى من سفن النجاة!

انهض بجناح أو صبر الأرواح!

فالمفاخرة والمنافرة لا تنفعان في الوصول إلى الحق المسلوب، ولا استرجاع ما نهبه السارقون، وإنّما الطريق المعقول والمنهج المحمود لذلك:

إمّا القيام والثورة، وذلك عند وجود الأنصار والأعوان، وعند توفر جميع وسائل القدرة والاقتدار.

وإمّا الصبر والسكوت وعدم تحريك الأمور عند عدم توفر الأعوان.

فهذان طريقان للفوز والفلاح: فإما أن تكون ذا جناح فتنهض به فتفوز بالمطلب، وإلا فالاستسلام والانقياد حتى تنجو وتريح نفسك ومن معك من تعب المطلب.

١- الحجرات: ١٣

وهذه سفينة ثالثة من سفن النجاة!

الخلافة للدنيا؟!

والخلافة بعد رحيل رسول الله ﷺ وما لازمَ ذلك من أحداث السقيفة: كالماء الآجن، واللّقمة التي يغصّ بها آكلها؛ كيف لا، والخلافة من أعظم أسباب الدنيا لمن يجعلها مطية لأهوائه وشهواته، ومعبراً لتحقيق آماله ونزواته!

والدنيا وإن عظمت في عين طالبها ومن وقع في أسرها ورقّها،إلا أنها صغيرة في عين عليّ عليه السلام ينفر من الدنيا لتعفّنها، وهو زاهد في هذه الخلافة التي سال عليها لعاب أبنائها، فلم يكن عليه السلام ليستعظم أمرها أو يلهث وراءها أو يتجهّز للدخول في حرب من أجلها!

فإن كانت الخلافة لأجل الحصول على متع الدنيا، كما تريد يا أبا سفيان، فابحث عن غير علي يشاركك في هذا الهم والمسعى، وفتّش عن غير علي يلهث وراءها، ويسكر لزخرفها، ويطرب لزبرجها!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام : «أَيُّهَا النَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ وعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ وضَعُوا تِيجَانَ الْمُفَاخَرَةِ أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ هَذَا مَاءٌ آجِنٌ ولُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا ومُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ.»[1]

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٥٢

الخطبة (٥): ومن [كلام] خطبة له عليه السلام لما قبض رسول الله ص وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة (وذلك بعد أن تمت البيعة لأبي بكر في

الموقف عند الفتنة!

فـ«ربما» يتّسِم الحدث بالفتنة، أي:

عدم تمايز الحق عن الباطل.

أو أن الحق واضح دون أن يتمكن طرفٌ من إثبات حقانيته كاملةً وبطلان الطرف المقابل.

أو أن الحق جليّ غير أن اتخاذ الموقف يصبح سبباً في سوء الاستغلال من قبل أنصار الباطل!

فيتعين هنا اتخاذ موقف الحياد في مثل هذه الأزمات الاجتماعية والسياسية.

يقول عليه السلام: «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ لَا ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ ولَا ضَرْعٌ فَيُحْلَب.»[1]

أي؛ عليك في مثل هذه الحوادث العمل بحيث تقطع الطريق على كلا الطرفين من استغلالك.[2]

الحزب الأموي وحزب السلطة!

دخل «الأمويون» الإسلام مقهورين بالفتح، وأعينهم تراقب مجرى الأحداث لعلّ الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ينحرف عن مساره المرسوم

السقيفة، وفيها ينهى عن الفتنة ويبين عن خلقه وعلمه)

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص: ٤٦٩، حكم أمير المؤمنين عليه السلام، الحكمة (١)

٢- رسالة الخواص، ص ٣٨-٣٩

فيرجع القهقري، ويتجدد لهم الأمل والرجاء في أن يعود لهم سابق شأنهم في الجاهلية، فيمتطون صهوة الزعامة من جديد ولكن بثوبها الإسلامي!

وقد عبر «أبو سفيان» عن هذا الرجاء - في محضر عثمان - قائلاً: «يا معشر بني أمية، إن الخلافة صارت في تيم وعدي حتى طمعت فيها، وقد صارت إليكم، فتلقفوها بينكم تلقف الكرة، فوالله ما من جنة ولا نار»[1]!

دخل الأمويون الإسلام ظاهراً بعقلية «الحزب»، وتحسّسوا في البدء الفصائل الأخرى المماثلة التي تعمل في دائرة الصد عن رسول الله ﷺ؛ ليقيموا معها أواصر التعاون في ظلال الهوية الإسلامية الساترة، بعدما كانوا قد تعاونوا معها وهم تحت راية الكفر السافرة!

فقد كانت للخليفة الثاني خلوات بمعاوية منذ أوائل الأيام! وكان معاوية يتذلل لعمر ويتملقه، وإذا جاوز رضاه في قضية من القضايا، خاطبه بلسان المتذلل الخاضع: «يا أمير المؤمنين علمني أمتثل»، ومعاوية في ذلك إنّما يمثل الدور الذي رسمه له أبوه أبو سفيان - منظّر الحزب الأموي - حين أوصاه قائلاً: «يا بُني، إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا، فصاروا قادة وسادة، وصرنا أتباعاً، وقد ولوك جسيماً من أمورهم فلا تخالفهم، فإنّك تجري إلى أمد فنافس فإن بلغته أورثته عقبك»[2].

١- الأغاني، ج٦، ص:٣٥٦

٢- البداية والنهاية، ج:٨، ص:١٢٦

والأمويون لا يترددون في الاعتراف بأنهم امتداد لحزب السلطة! بل هم يحاجون من ينكر عليهم قبائحهم ممن هم من نسل أبي بكر وعمر: بأنّ الأولَين إن كانا قد أحسنا فإنا احتذينا بهما، وإن كانا قد أساءا فهما أولى بالذم والمعابة.

والمتتبع لا يجد صعوبة في العثور على دلائل التعاون الجديد بعد أن استقرت نتائج السقيفة لصالح حركة النفاق، وهذه الدلائل كثيرة جداً.

ولا يقدح فيها: الموقف المؤقت الذي وقفه أبو سفيان في طلبه من أمير المؤمنين عليه السلام في أن يمد يده ليبايعه، وفي تنكّره - بادئ ذي بدئ - لنتائج السقيفة، فإن هذا الموقف أملته على أبي سفيان أمنيته المكبوتة في أن يبطش بالإسلام البطشة الكبرى بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة من خلال إيقاع الاقتتال بين المسلمين على الخلافة، وإسقاط الدولة الإسلامية، وإعادة الناس إلى الجاهلية وإلى قريش بزعامتها السابقة!

ولم تخفَ نية أبي سفيان في موقفه هذا على أمير المؤمنين عليه السلام فنهره وأغلظ له قائلاً: «والله إنك ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك والله طالما بغيت للإسلام شراً»[1].

١- مع الركب الحسيني، ج:١، ص:٧٣-٨٣

وقد ذكرت في الكامل لابن الأثير، ج:٢، ص:٢٢٠ - تاريخ الطبريّ، ج:٣، ص:٢٠٩

الشقشقة الثالثة:
حزب النفاق وإقصاء الإمام علي (ع)

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ [ابْنِ الْخَطَّابِ] بَعْدَهُ ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعْشَى:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا ويَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا»[1]

حركة النفاق ومنهج عملها!

إنّ العدو الداخلي لا يُعلن عن كيده جهاراً، ولا يرمي بأوراقه نهاراً، ولا يكشف عن أهدافه صراحاً، بل هو يعمل في الخفاء، ويكيد من غير ضوضاء، ويسعى للوصول إلى أهدافه: بتؤدة المكر وأناة الخديعة!

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٤٨

الخطبة (٣) ومن خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية وتشتمل على الشكوى من أمر الخلافة ثم ترجيح صبره عنها ثم مبايعة الناس له!

وهو يعمل ليلاً ونهاراً، لا يكلّ ولا يملّ، ولا يصيبه ضجرٌ ولا سأم! وهو يبرز للناس بوجهٍ مشرق وبمظهرٍ تقبله عامة البشر، في الوقت الذي يخفي وجهه الحقيقي كما أخفى أنيابه القاتلة السامة!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يصف عمل المنافقين: «يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً وَيَفْتَنُّونَ افْتِنَاناً ... قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ يَمْشُونَ الْخَفَاءَ وَيَدِبُّونَ ... قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً ... يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ»[1].

المنافق .. العدو الداخلي!

إنّه المنافق العدو الداخلي، وإنّها حركة النفاق التي لا يبصرها عامة الناس حيث تنخر في المجتمع رويداً رويداً، وتقوّض بنيانه يوماً فيوماً، بهدوءٍ ومن غير جلبة ولا ضوضاء ولا صُراخ، حتى ينهار المحتوى الداخلي للبنيان، ويفرغ من أي باطن ومعنويات!

وعندها يبقى الدين: صورة بلا معنى! وقشراً بلا لب، وظاهراً بلا باطن! ويتشوه وجه الدين الحسن، وتتبدل أحكامه الإلهية بأحكام جاهلية! ويبعد أهل الدين وحماته الحقيقيين، ويأتى بالأشرار ومن عاداه وحاربه حتى يتحكموا برقاب الناس بالمكر والخديعة!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يصف المنافقين: «وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ والزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً وَيَفْتَنُّونَ

١- نفس المصدر، ص:٣٠٧

الخطبة (١٩٤) ومن خطبة له عليه السلام يصف فيها المنافقين

افْتِنَاناً ويَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ ويَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ وصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ يَمْشُونَ الْخَفَاءَ ويَدِبُّونَ الضَّرَاءَ وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ وقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ وفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ»[1]

هم العدو .. فاحذرهم!

وحركة النفاق هي أعظم ما يهدم البناء، ويصرع الأديان، ويسبب الدمار لأهل الإسلام! حتى إنّ الإسلام قد حصر العداوة فيهم: وكأنّه لا عدو إلا هم، ولا عداوة إلا التي تصدر منهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[2]، وكما يقول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يبين عظم خطرهم: «حَسَدَةُ الرَّخَاءِ ومُؤَكِّدُو الْبَلَاءِ ومُقْنِطُو الرَّجَاءِ لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ وإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ ولِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ»[3].

استمرار حركة النفاق إلى يومنا هذا!

والإسلام كان وما زال فريسة لهذه الحركة المنافقة التي تنخر في الدين وتزلزل نفوس المتدينين وتسبب التأخر للمسلمين!

والمنافق يتعاضد مع الكافر ويتحالف مع اليهودي والنصراني، إلا أنّه لا يمكنه أن يتعايش مع المسلم الحقيقي والمؤمن الواقعي!

١- المصدر نفسه

٢- المنافقون: ٤

٣- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٣٠٧
الخطبة (١٩٤) ومن خطبة له عليه السلام يصف فيها المنافقين

بل لا يوجد عدو للمنافق إلا المُؤمن الحقّ، ولا توجد حرب تشغل المنافقين إلا الحرب ضد أهل الإسلام المحمدي الأصيل! كما تكالب العالم بأجمعه بعد رحيل رسول الله ﷺ - من منافق وكافر ويهودي ونصراني - على أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّنا نجد اليوم كيف قد اجتمع أهل الكفر واليهود والنصارى واضعين أيديهم مع رأس النفاق اليوم - مدّعي خدمة الحرمين - ضد راية الحقّ الخفاقة والدولة الإيمانية التي ترفرف باسم الإسلام المحمدي الأصيل!

وكما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فَهُمْ لُمَةُ الشَّيْطَانِ وحُمَةُ النِّيرَانِ أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الْخاسِرُون»[1]

لشدّ ما تشطرا ضرعيها!

عجباً للأول الذي كان يتظاهر بالقدسية والزهد في الخلافة صبحاً وعشياً، وإبداء عدم الرغبة فيها واستعداده أمام الناس للتخلي عنها، وإكثاره من طلب الإقالة منها .. اقيلوني فلست بخيركم!

نعم، بمثل هذه التصرفات الخاصة والأقوال المنافقة: ينخدع الكثير من بسطاء العقول وأصحاب الألباب الساذجة! فيكبر أمثال هؤلاء - حذّاق الخداع ومتمرسو الكذب والنفاق - في نفوسهم، ويأخذ قولهم بمجامع قلوبهم، والحال كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ وقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ وفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ»[2]

١- المصدر نفسه

٢- المصدر نفسه

ما كان صادقاً في دعواه!

ولو كان الأول صادقاً فيما يقول، ومحقاً فيما يدعي، لما عقدها للثاني بعد وفاته، لأنّه لو كان طالباً بحق للإقالة بسبب ثقل الخلافة وعظم مسؤوليتها، وخوفه من التعثر فيها والتردي في مهالكها بسبب عدم القيام باللازم من واجباتها، لكان من المنطقي أن يسعى للتخلص منها بسرعة؛ حتى لا يتكلف مسؤوليتها ولا تلحقه بعد ذلك تباعتها، وإذا لم يكن بمقدوره أن يتخلى عنها حال حياته، فمن الحجى أن لا يكلف نفسه تبعاتها بعد مماته، فلا يعقدها لغيره بعد وفاته!

أمّا وقد عقدها للثاني بعد وفاته، فهو متحمل لمضار الخلافة وتبعاتها في حال حياته وبعد مماته! وهذا يكشف حقيقة دعاواه الزائفة، من طلب للإقالة ودعواه الزهد في الخلافة؛ حيث لم يكن قوله إلا كذباً ونفاقاً وخداعاً!!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يشكو الظلم الذي حلّ به وبأهل بيته: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ ومَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي وصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِيَ وأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي ثُمَّ قَالُوا أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَه»[1].

الدنيا .. تفضح أبنائها!

نعم، إنّها الدنيا التي غرتهم وخدعتهم بعد أن تزينت لهم بلباس الخلافة، ودعتهم إلى نفسها، فانخدعوا لها واغتروا بحطامها: حيث

١- المصدر نفسه، ص:٢٤٦، الخطبة (١٧٢)

أعمتهم وأصمتهم وسلبت عقولهم ورشدهم!

ولكن، ما أسرع انفضاح خططهم وانكشاف ألاعيبهم واتضاح زيف خداعهم: فـ«الثاني» يبايع «الأول» في السقيفة ويكون السبّاق في ذلك، ومتحدياً كل من يعارض ذلك، حتى يرد «الأول» الخلافة لـ«الثاني» بعد وفاته!

هكذا تقاسموا الأدوار، وتشاطروا الضرع، وأبعدوا أهل الحق، وكما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ ويَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ»[1].

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٣٠٧
الخطبة (١٩٤) ومن خطبة له عليه السلام يصف فيها المنافقين

الشقشقة الرابعة:
الظالم الثاني والحوزة الخشناء

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا وَيَخْشُنُ مَسُّهَا وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا وَالِاعْتِذَارُ مِنْهَا فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ»[1]

هكذا يكون خليفة الرسول صلى الله عليه وآله!

خليفة الرسول صلى الله عليه وآله هو الأقرب إليه في علمه وحلمه وزهده ومنطقه وجمال خلقه وكمال فضائله؛ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليّن الطبع رقيق القلب هشاً بشاً، تعلو البسمة محيّاه، وتحيَى القلوب عند لُقياه، وتنجذب الأفئدة لعظم أخلاقه وجميل خصاله، كما يقول الباري جل

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٤٨

الخطبة (٣) ومن خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية وتشتمل على الشكوى من أمر الخلافة ثم ترجيح صبره عنها ثم مبايعة الناس له!

جلاله: ﴿وإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظيم﴾[1].

ما كان فظّاً ولا غليظاً، ولا توجد في طباعه جفوة، ولا تسرّع إلى غضب ولا خشونة في تعامل ﴿ولَوْ كُنْتَ فَظًّا غَليظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِك﴾[2].

وهكذا ينبغي أن يكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله.

الطبع الجافي والقلب القاسي!

وقد ابتليت الأمّة بعد الأول بخليفة لا يتمتع بأدنى المواصفات التي تليق بمنصب خلافة المسلمين، والجلوس على كرسي رسول رب العالمين؛ فقد كانت الطباع التي يحملها، والأخلاق التي يتصف بها تمثل أقبح الصفات وأخس الطباع!

فقد كان جافياً غليظ الكلام، فظّاً ينفّر عنه الأنام، وتتوجس من أسلوبه كل الناس!

كان غليظ المواجهة بالكلام: يجرح به ويدمي القلوب والأرواح؛ فقد كان ضربه باللسان أعظم من وخز السنان! وكان جافياً لا يمكن التعايش معه والاستئناس بمجلسه والقعود عنده؛ لما في مجالسته من اتمال الأذى والتهجس من سطوته والطيش في فعله!!

كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يصف طباع هذا الرجل الفظ:

١- القلم: ٤

٢- آل عمران: ١٥٩

«فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا ويَخْشُنُ مَسُّهَا»[1]، وهذا وصفه على صعيد الأخلاق والطباع والحكمة العملية!!

كثير الأخطاء وكثير الاعتذار!

وأما على صعيد العلم والفكر والوعي والحكمة النظرية، فلم يكن يملك منها شيئاً، وقد كان متسرّعاً في إصدار الأحكام الخاطئة، ثم يُنبَّه على خطئه، فيرجع عما قال ويعتذر!

وهذا كان دأبه وهكذا جرت سيرته: كثير الأخطاء وكثير الاعتذار! وما أكثر أخطاءه التي لولا تدخل أمير المؤمنين عليه السلام فيها لأدت إلى سفك دم أو تضييع حق أو تعذيب نفس!

فالعجب لخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله والنّساء أفقه منه كما اعترف هو بذلك!!

وكما يقول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يبين جهل الرجل: «وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا والِاعْتِذَارُ مِنْهَا»[2]!!

لا الشد ينفع ولا الإسلاس يفلح!

والمصيبة العظمى: أن التعامل مع مثل هذا الرجل والأمل في إصلاحه والعمل على تقويمه يعتبر من الأمر المحال؛ لأنّك إن قمت بتنبيهه وبيان خطئه في كل واقعة، وأشرت عليه بمواضع اشتباهه،

١- نهج البلاغة، مصدر سابق.

٢- المصدر نفسه

وذللت حكمه فإنه سوف يعتبرك عدواً، وستؤول الأمور إلى حصول المشاقة والصدام؛ فطبعه هو هكذا إن أشرت أليه ونصحته!

وإن اخترت السكوت على أخطائه، ولم تنبهه بمواقع زلله: أدّى ذلك للإخلال بالواجب وتضييع الحقوق، ووقوع الظلم على الكثير من خلق الله تعالى!! فما العمل؟!

هل هو الاعتراض أو السكوت؟!

إنه أمر محير «فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ»[1]، فإن شددت عليه وأصررت على الحق أدّى ذلك للخرم والتمزق والضغينة والشقاق بين المسلمين! وإن أسلست له ولم تصرّ على بيان الحق أدّى ذلك للتقحّم في الهلكات وتضييع الأحكام وانتهاك الحرمات ووقوع الظلم على العباد!!

ضلّ وأضلّ وأشقى الأمّة!

فتجلت المصيبة، وازداد الفتق الذي لا يمكن رتقه، والاعوجاج الذي لا يرجى استقامته! ومُني النّاس وابتلوا بخبط هذا الرجل واضطراب حركاته غير المدروسة وغير الحكيمة النابعة من جهله وعدم وعيه وبعده عن الرشد في الفكر!

وعجز الناس عن التعايش معه بما يحمل من هذه الطباع الخشنة الغلظة! وضاع الناس بسبب ضياعه وتيهه وضلاله في الطرقات؛ حيث

١- المصدر نفسه

كان يقود الأمة بجهله وضحالة فكره، وما يمليه عليه طبعه «فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللهِ بِخَبْطٍ وشِمَاسٍ وتَلَوُّنٍ واعْتِرَاضٍ»[1].

عشر سنواتٍ مُظلمة!

فصبر الأمير عليه السلام عليه كما صبر على الأوّل، حيث لم يكن يملك شيئاً من الصبر، نعم كان بلاءً عظيماً ومحنة شديدة: طالت فيه خلافة عشر سنين، فلم يبق من الأحكام شيء إلا ودس فيه سمّه الزعاف، وكثرت اجتهاداته في قبال نصوص الإله ورسول العباد، فغيّر الكثير الكثير حتى أنّت منه شريعة السماء!

طالت المدة، واشتدّت المحنة في فترة خلافته التي تعد من أظلم العقود وأخطر السنين التي مرّت على الأمّة الإسلامية حتى إنه أبعد خُلّص الصحابة، وقرّب اليهود، ومكّنهم في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، ليبثّوا في الدين أكاذيبهم وإسرائيلياتهم؛ بعد أن منع كتابة وانتشار أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله!

والأفجع في كل فعاله أنه مكّن بني أمية، وأطلق العناء للطليق ابن الطلقاء معاوية بن أبي سفيان؛ ليضمن دوام خط النفاق؛ وليطمئن وهو في قبره بأن راية الضلال لن تخبو وراية الإسلام لن تعلو!!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وشِدَّةِ الْمِحْنَة»[2]

١- المصدر نفسه

٢- المصدر نفسه

الثاني وخيوط المؤامرات!

فـ«الثاني» هو الذي أطلق يد معاوية في الشام؛ فالخليفة الصارم في المدينة قد أغمض عينيه عمداً عن الشام لفتى قريش وكسرى العرب!

فلذا كان «الثاني» هو الممهد للحكم الأموي بل هو المؤسس له!

وفي فترة حكمه زاد في شدّة الحصار المضروب على السنة النبوية؛ فأمر بحرق ما أتوا به من بيانات نبوية، وفرض الإقامة الجبرية على رواة الأحاديث في المدينة، ومنع الجيوش عن التحديث عن رسول البرية!

وهو في نفس الوقت قد قرّب منافقي اليهود والنصارى، وفتح لهم الأبواب ليمارسوا القَصّ على الناس بما يعارض عقائد الإسلام!

وقرّب منه كعب الأحبار - أكبر زعماء اليهود - يأنس به، ويستشيره، ويتأثّر بفكره، ويعود إليه في القضايا التي لا تروقه أجوبة العلماء من الصحابة فيها، فيسأله عنها!

وكان أكثر ولاته من بني أمية في الوقت الذي منع فيه الهاشميين من أن يستلموا أي منصب! فضلاً عن مبدئه في العطاء، وما جرّ على الأمة من مآسٍ وأهوال![1]

١- مع الركب الحسيني ج١، ص:٢٥-٨١

الشقشقة الخامسة:
فيالله وللشورى!!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي [سِتَّةٍ] جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ فَيَا للهِ وَلِلشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا وطِرْتُ إِذْ طَارُوا فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ ومَالَ الْآخَرُ لِصِهْرِهِ مَعَ هَنٍ وهَنٍ»[1]

حزب النّفاق وإقصاء الإمام علي عليه السلام!

إنه حزبٌ واحد، حزب الشيطان والنفاق، قد بيّتوا النيات وتقاسموا الأدوار، وهم ينفّذون كل ما خططوا له؛ فالأول يعيّن الثاني بشكلٍ واضح ومن غير أي ترديد، والثاني يعين الثالث، ولكن هذه المرة بأسلوب جديد فيه ما فيه من الخداع والتمويه الذي يحيّر عامة الناس

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٤٩

الخطبة (٣) ومن خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية وتشتمل على الشكوى من أمر الخلافة ثم ترجيح صبره عنها ثم مبايعة الناس له!

ويجعلهم لا يهتدون الطريق!

وقد سمّاها شورى، وما هي بشورى، فأيّ معنى للشورى والحال أنّ النتائج قد حُسمت قبل أن يكون هناك اجتماع أو يحصل تشاور؟!

نعم، هكذا السياسة وألاعيبها ومن يحب أن يتلوث بأرجاسها!!

ما جعلوه في الشورى حقيقة!

والثاني يزعم بأنّ علياً عليه السلام هو أحد رجال الشورى، وهو زعمٌ فارغٌ وكذبٌ واضحٌ وفاضحٌ!

ومتى تنازل الثاني عن مخططه حتى يقدّم علياً عليه السلام، ومتى آب لرشده حتى يأمل في رجوع الحق لأهله، وأنّي له أن يكون سبباً في ذلك وقد كان هو السبب في إزواء الحق عن علي عليه السلام وغصب الخلافة منه!

إنها نفسٌ حسدت علياً عليه السلام، وكادت له وخططت ضدّه وتآمرت عليه؛ لأنه الإسلام الحقّ والإيمان الكامل، وقد حاربوه لأنه عليٌ عليه السلام، فهل يقدمونه الآن؟ هيهات!

جَعْل الإمام في الشورى لخداع الناس!

إنّ جعل الإمام علي عليه السلام في الشورى كان من أجل خداع الناس، وتمرير مشروعهم الإفسادي بخبث ودهاء!

وهكذا يفعل دهاة السياسة: يدخلونك شكلاً، ويخرجونك واقعاً!

يقيمون الحجة عليك؛ إن لم تشارك فهم دعوك! وإن دخلت كما شاؤوا: أقاموا عليك الحجة بأنّك لست أهلا للخلافة، وإلا لبايعك الناس!!

ويريد الثاني أيضاً: أن يصوّر للمسلمين في كل الأزمان بأنه لم يُعادِ علياً، ولو عاداه لما جعله من رجال الشورى!

ويريد الثاني أيضاً أن يقنع المسلمين بأن علياً ليس أهلاً للخلافة وإلا لبايعوه! هذا مع قصده بيان الفضل والمرتبة: فهو الثاني وعثمان الثالث وعليّ الرابع!!

بالبصيرة ينفضح مخطط الشورى!

وعلى الناس أن يكونوا من أصحاب البصائر: فلا يتوقفوا عند القشور، ولا يكتفوا بظواهر الأمور، بل لابُدّ لهم أن يسبروا الأعماق، ويخترقوا اللباب؛ فإن الرجال الذين اختارهم «الثاني» وهم: طلحة والزبير وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والإمام علي عليه السلام، وطبيعة المداولات والصيغة التي لا بُدّ أن يحسم فيها النتائج عند الاختلاف، والتي آخرها: أنّه إن اختلفوا وصارت الكفة بالتساوي، فإنّ الترجيح يكون لمن يكون معهم عبد الرحمن بن عوف! كل ذلك يرشدك ويدلّك على أنّ الإمام علي عليه السلام لن يكون هو الخليفة: فسعد بن أبي وقاص منحرفٌ عن الإمام علي عليه السلام، فإنّه حتى لو بايعه طلحة والزبير، فإن الكلمة سوف تكون مع من يكون معهم عبد الرحمن بن عوف!!

ولِمَ المحور ابن عوف؟!

ولا أدري ما الذي جعل «الثاني» يجعل ابن عوف محوراً وقطب رحى الشورى: فهل نسي أو أراد أن يتناسى فضل الإمام علي عليه السلام على ابن عوف، بل على كل الصحابة؟ أم أنّه المخطط القرشي الذي أُملي عليه، وما عليه إلا أن ينفذه لا غير؟!

ومتى اعترض الريب في علي عليه السلام ؟!

وأمير المؤمنين عليه السلام يتأوه، وحق له أن يتوجع ويئن؛ فمتى اعترض الريب والشك في علي عليه السلام ؟

وهل يوجد في هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من يرقى إلى فضله أو يُقاس به، ومتى سُوِّي بأحدٍ من الصحابة حتى صار يُقرن إلى مثل هذه النظائر؟!

نعم، إنّه الزّمن العنود، وهؤلاء هم أهله الجفاة الجهلة فاقدوا العقول؛ حيث أنزلوا علياً عليه السلام من سماء العظمة، وأردوه في مستنقعاتهم العفنة وأوحالهم المظلمة! ماعرفوه حق معرفته!

بلى عرفوه، ولكن أرادوا أن ينزلوا من قدره، ويحطّوا من مكانته؛ وإلا فـ«مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ»[1]

١- المصدر نفسه

أدخلوه الشورى مُكْرَهاً!

وما عسى الأمير عليه السلام أن يفعل: فدُخوله في الشورى بلاء، وعدم دخوله فيها بلاء!

أُدخل فيها مجبراً، وأخرج منها مقهوراً؛ فما كان في دخوله مختاراً، وما كان في خروجه مريداً! وهكذا قُهر بطل الإسلام الأول .. «لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا وطِرْتُ إِذْ طَارُوا»[1]

بمكيدة الشورى أبعدوه مرةً أخرى!

فيالله وللشورى! ومن أعضاؤها؟ سعد بن ابي وقاص وهو منحرف عن الإمام علي عليه السلام حتى إنه تخلّف عن بيعته - بعد قتل عثمان - مع أن الأمّة قد اجتمعت على بيعته!

فـ«سعد» كان حاقداً على علي عليه السلام، وكان معادياً له! والثاني كان على علمٍ بأنّ سعداً لن يبايع علياً عليه السلام فلذلك رشحه للشورى «فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ»[2].

وأمّا «عبد الرحمن بن عوف»: فبينه وبين عثمان مصاهرة؛ حيث إن عبد الرحمن كان زوجاً لأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي أخت عثمان لأمّه أروى بنت كريز! فهذه المصاهرة تملي على أمثال عبد الرحمن أن يقدم عثمان على علي عليه السلام! مضافاً إلى انحراف عبد الرحمن عن علي عليه السلام من الأساس! والثاني يعلم بكل ذلك، فلذلك

١- المصدر نفسه

٢- المصدر نفسه

رشّحه للشورى «وَمَالَ الْآخَرُ لِصِهْرِهِ مَعَ هَنٍ وهَنٍ»[1].

وأما «عثمان» فهو المرشح الحقيقي للثاني، وهو المجعول نداً للإمام علي عليه السلام! والمخطط القرشي والأموي لابُدّ أن يسير بهذا الاتجاه!!

وهكذا يُقصى علي عليه السلام اليوم، ويُقصى ولده غداً!! يقول الإمام علي عليه السلام: «لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي ووَاللهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ ولَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وفَضْلِهِ وزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وزِبْرِجِهِ»[2]

هناك يستولي الشيطان!

إنّ منهج الشيطان الرجيم - وهؤلاء هم تلامذته في مدرسة النفاق والرياء - هو إيجاد الانحرافات الفكرية والروحية على المرتادين، «ولَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ ولَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ ومِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ويَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنى»[3].

والشورى كانت تسير في ظلال هذا المنهج الشيطاني من مزج الحق بالباطل، فكان ما كان!

١- المصدر نفسه

٢- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:١٠٢
الخطبة (٧٤) ومن خطبة له عليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان

٣- نفس المصدر، ص:٨٨
الخطبة (٥٠) ومن كلام له عليه السلام وفيه بيان لما يخرب العالم به من الفتن وبيان هذه الفتن

الشقشقة السادسة:
الظالم الثالث بين نعليه ومعتلفه

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ ومُعْتَلَفِهِ وقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللهِ، [خَضْمَ] خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ وأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُه»[1].

ولِمَ هؤلاء الثلاثة؟!

يحكم الأول ثم يأتي الثاني ويسود، وها قد جاء دور الثالث يتسلط على الرقاب ويجوز! ولكن لِمَ هؤلاء الثلاثة فقط؟! ولِمَ لم يحكم الأمة الإسلامية غيرهم؟! فهل كانوا أفضل رجال الأمة وخُلّص صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وأكثر من ضحى للإسلام وتفانى من أجله؟ أم كانوا أعلم هذه الأمة وأفقه رجالاتها وأكيس ساسة الرعيّة وأكثرهم خبرةً وأجدرهم

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٤٩

الخطبة (٣) ومن خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية وتشتمل على الشكوى من أمر الخلافة ثم ترجيح صبره عنها ثم مبايعة الناس له!

بإدارة شؤون الأمة ومقدراتها؟ إنها قصة حزب الشيطان والنفاق .. والأمة الضائعة!!

لأنّهم من حزبٍ واحد!

إن السبب في تقدم هؤلاء دون سواهم: أنهم من حزبٍ واحدٍ، ذلك الحزب الذي تحالف في الخفاء مع صناديد قريش المستسلمين، وتعاضد مع علماء اليهود والنصارى الذين ما دخلوا في الإسلام متظاهرين إلا من أجل الكيد به وبالمسلمين! والأدهى في كل ما فعلوه أنّهم اتفقوا وأقسموا يميناً على أن يُبعدوا علياً عليه السلام، ويزووا الحق عن أهله، ويحرفوا الإسلام عن مساره، فكان أوجع وأقوى ضربة قاموا بها: أن استولوا على الخلافة التي تمكّنهم من تحقيق كل أهدافهم المشؤومة!

الانحراف يبدأ من السقيفة ويحط رحله بملك ابن هند!

وهذا الحزب .. حزب الشيطان .. وحركة النفاق هي أشدُّ ما ألحق الأذى بالمسلمين والإسلام؛ حيث بدأ الانحراف من «مؤتمر السقيفة» التآمري ليحط برحاله عند كفّار الأمس ومنافقي اليوم عند رأس الضلال معاوية بن أبي سفيان!

فهؤلاء الثلاثة من «حزب النفاق» ومن ورائهم صناديد قريش «حزب الكفر» وبالتعاضد مع «علماء اليهود»: قد جلسوا في تلك الغرف المغلقة المظلمة، وخطّطوا وتآمروا على أبناء هذه الأمة البائسة، ونظموا أنفسهم بدهاء ومن خلال تقاسم الأدوار، على أن يستولوا على

مقدرات الأمة! فقد كانوا يجلسون، ويفكرون، ويخططون و...، والناس لا علم لهم بكل ذلك! حتى صارت الأمة وكل مقدراتها تحت أسر مخططات هؤلاء الظلمة!!

الأمّة الأسيرة لحزب النفاق!

وهكذا أُمست الأمة الإسلامية مسلوبة الإرادة: فلا هي تقدر على تقرير مصيرها، ولا تجد من نفسها أهلية اختيار قياداتها؛ فكل شيء قد رُسِم له وخطّط له، وما على الأمّة إلا أن تمتثل وتطيع، ولا يحق لها أن تعترض على أي مصير! ومن يعترض كأمثال أبي ذر الغفار، فإنّ مصيره النّفي والإقصاء والموت في الصحاري القفار! وهذا إنذارٌ لكل من يفكر بالاعتراض من أبناء هذه الأمة: قتلٌ وسجنٌ وتعذيب، ولو كان المعترض بقامة وعظمة أبي ذر الغفاري!!

يقظة الشعوب وتحررها!

فعلى الأمم والشعوب وأبنائها الشرفاء أن لا يغفلوا عمّا يُحاك ضدّهم، ولا يعيشوا البساطة والسذاجة فيما يرجع إلى أمور السياسة، فهي إن نامت فإنّ العدو لن ينام عنها بل سوف ينقض عليها، وإن غفلت فإنّه لن يغفل عنها، وإن تركته وشأنه فهو لن يتركها! فالعدو لا يرضى من الشعوب إلا بأن تكون أسيرة بيده، مطيعة لأمره، خادمةً لمصالحه مسلّمةً لأمره ونهيه!

حزب النفاق وجهل الناس!

جهل الأمة وعدم وعيها، ووجود مثل هؤلاء المتآمرين من حزب الشيطان والنفاق وعبّاد الهوى، قد اجتمعا على الأمير عليه السلام، وقصما ظهره وأبعداه عن منصبه!جهلٌ وتآمر، مَسُوس وسائس، مطيعٌ وآمر، فبقي الإمام عليه السلام وحيداً فريداً: يعاديه هؤلاء ببغضهم وتآمرهم وحقدهم وشيطنتهم، ويعاديه أولئك بجهلهم وعدم وعيهم وسذاجتهم!

فلا المعادي يرتدع عن غيّه وظلمه ولا الأمة تستوعب ما يُكاد لها وما يُخطط ضدها! وهكذا خسرت الأمة وضاعت وتراجعت؛ حيث استولى اللئام واضُّطهد الكرام، وضلّت الأمّة بعد ذلك الهدى، وزلّت بعد ذلك الرشاد!

نعم؛ «إنّ السبب في جميع الانحرافات التي تقع في العالم منذ البداية وحتى النهاية، ما مضى منها وما سوف يأتي يتمثل شيئين لا أكثر وجميع الانحرافات الفرعية تنتهي إلى هذين الأصلين: الجهل وعبادة الهوى»[1].

الأمة الواعية وطريق الكمال!

والأمم والشعوب لا يمكن لها أن تتقدم وتسلك طريق الكمال إلا بأن يوجد الرجل الصالح الذي يكون أهلاً لقيادة الأمة، وذلك من خلال ما يتمتع به من مؤهلات فكرية وروحية واستقامة عملية، ويعيش همّ الأمة ويسعى للرقي بها، وهو معها في آمالها وآلامها، هذا من جانب.

١- العرفان الإسلامي، ص ٨٥

ومن جانب آخر: فإنه لابد من وجود أمّة واعية فاهمة تُقدم أمثال هؤلاء المخلصين من أصحاب الإيمان والكفاءة والتجربة، وفي نفس الوقت تعي أحابيل الشياطين ومكائد المنافقين، فلا تنخدع بأبواقهم الإعلامية الكاذبة، ولا تنجر وراء خططهم الخادعة، تعي كل ذلك حتى لا تشقي نفسها بنفسها، ولا تكتب بداية نهايتها بسوء اختيارها: المسبَّب عن جهلها وعدم بصيرتها!

بالفكر والإدارة تكون السيادة!

وهكذا تُدار الدول وتسيّر شؤون الناس، فمن يُفكّر ويُخطط ويضع البرامج ويملك العزم والإرادة، فإنّه يسود ويحكم ويستولي على مقدرات الأمة؛ سواءً كان ذلك في طريق الحق ولأجل المبادئ العادلة الربانية، أم كان في طريق الباطل ولأجل المبادئ الجائرة الشيطانية.

فالعزم والإرادة والتصميم والتخطيط والتفكير، بكل ذلك يمكن أن يَتم الحُكم وتحصل به السيادة!

أما من يعيش خواء الإرادة وضعف الهمّة، أو لا يكون صاحب فكر ورؤية وتخطيط: فإنّه لن يقدر على أن يوجد لنفسه موضع قدمٍ في الحكم، ولن يتمكن من تقرير مصيره بنفسه؛ بل سيكون تابعاً دائماً ومطيعاً أبداً، ومُسيّراً لا يملك قوة ولا حولاً، إلا أن ينفذ ما يُملى عليه، شاء أم أبى!!

الأمّة التي لا تُعظّم العظماء!

والأمّة لن تنتفع بوجود العظماء حتى كأمثال الإمام علي عليه السلام، إذا لم تكن واعية ومدركة لعظمتهم وجلالة قدرهم، وأنّهم الخيار الذي لا ينبغي العدول إلى غيرهم، والقادة الذين لا تصلح الأمّة إلا بطاعتهم والسير في ركابهم.

ولن تنتفع الأمة بوجود هؤلاء العظماء إذا لم تعِ بأن هناك أبناء دنيا وشياطين من الأنس يسعون لتحصيل مآربهم ورغباتهم وشهواتهم، ويقدّمون مصالحهم الذاتية الدنية على مصالح الأمة العالية!

وهؤلاء الشياطين في حرب ضروس؛ في الخفاء أو في العلن، ضد أمثال الإمام علي عليه السلام فهم لا يتمكنون من الوصول إلى دنياهم الفتون إلا بإزواء أمثال الإمام علي عليه السلام. فإن وعت الأمّة وأدركت عظمة الإمام علي عليه السلام، ووقفت معهم ووعت مخططات أعدائهم ووقفت بحذر ضد مكائدهم، فعند ذلك ستصل الأمة إلى صلاحها، وستنتفع من مقدراتها وإلا فإنها سوف تخسر وتضل وتغوى، وذلك بعد أن تجعل أمثال الإمام علي عليه السلام وحيداً فريداً!!

بين نثيله ومعتلفه!

لقد بيّن أمير المؤمنين عليه السلام المنهج السياسي لهذا الغاصب الثالث، ووضّح كيفية حكمه للأمة بأدق تعبير وأوجز عبارة «بين نثيله ومعتلفه»[1]، فما كان همّه وهم حاشيته إلا أن يأكلوا مقدرات هذه

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٤٩، الخطبة (٣)

الأمة، ويتمتعوا بها، يملؤون بطونهم منها حتى البطنة وزوال الفطنة!

والاستفادة من متع الدنيا حصرٌ عليه وعلى حاشيته، لا تتعداهم ولا تتجاوزهم إلى غيرهم!

وأمّا الأمة - التي شبع قائدها وحاشيته - فهي تتضور من شدّة الجوع لا تجد قوت يومها، وقد اشتدّ بها الظمأ وهي لا تهتدي لشرب مائها! فهي تجوب الصحاري بحثاً عن ماءٍ هنا أو أكلٍ هناك، وقد لا تجدهما فتموت جوعاً وتهلك عطشاً!

ولن نظلم الخليفة وحاشيته، فهو يواسي الأمة اليوم ويتألم مع ألمها، ألم سببه الطعام والشراب، ولكن مع هذا الفارق البسيط! البسيط جداً!

فالأمة تتألم بسبب قلة الطعام والشراب، والخليفة وحاشيته يتألمون لكثرة الطعام والشراب الذي ملأ بطونهم حتى أوقرها!!

هكذا كان حال عثمان؛ حيث لم يكن له هم إلا الترفّه والتوفّر في المطعم والمشرب وسائر مصالح نفسه وأقاربه، دون ملاحظة أمور المسلمين ومراعاة مصالحهم!

وبئرٍ معطلة وقصرٍ مشيد!

هكذا كان منهج هذا الرجل الذي كان ينظر إلى الخلافة على أنّها مكسب شخصي، وثمرةٌ لتضحياته، وسابقة إسلامه، وجزاء ما بذل في سبيله! واليوم جاءته السلطة، وله أن يفعل فيها ما يحلو له ويشاء:

يغدق على حاشيته وعلى أقربائه وأهله، وعلى كل من شايعه وسار في خطه ومنهجه!

وأما سائر طبقات الأمة وعامة شرائحها: فلا نصيب لها من السلطة بشيء، ولا يحق لها أن تعترض على أي شيء، ولا تطلب أي شيء، وإنّما عليها أن تأكل مما يُلقى عليها من فتات القصور وحاشية السلطان ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وقَصْرٍ مَشِيد﴾[1].

الإسلام العثماني وشقاء الناس!

والإسلام بمنهجه وبأحكامه وتشريعاته وبمبادئه الرفيعة التي جاء بها، والتي من خلالها حكم الشرق والغرب، وأسعد وأغنى من عاش تحت كنفه واستظل بفيء ظلال أحكامه، فإنّه اليوم وفي زمن خلافة عثمان بات عاجزاً عن سدّ قوت جائعٍ هنا أو كسو عُريانٍ هناك، أو أن يأوي مشرّداً لا يجد له منزلاً في وسط الظلام!

والسبب في كل ذلك لا يعود للإسلام، ولا لشحّة مقدرات الأمة وما فيها من خيرات، ولا أنّ العلة في عامة الناس! وإنّما المشكلة في «الحكّام» لا في الأحكام، وفي «الجشع» لا في الخيرات، وفي «النخب» لا عامة النّاس!

فالمنهج وإن كان كاملاً لا نقص فيه ولا عيب، كما هو منهج الإسلام إلا أنّه لن ينتفع به إذا ابتلي بمن لا يُجيد تطبيق الرؤى والأفكار والمبادئ والأحكام بل لا يسعى للتطبيق من الأساس!

١- الحج: ٤٥

والأمّة وإن كانت تملك ما تملك من الخيرات والكنوز والثروات إلا أنّها لن تنتفع من كل ذلك إذا تكدّست هذه الأموال في جيوب الطغاة، وحرمت الرعية من الانتفاع بها، وعاشت الفقر والحرمان، كما حصل في زمن عثمان، وكما هو حاصل اليوم في أغلب الأماكن والبلدات، بل وفي كل الأزمان «مَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ»[1].

السياسة العثمانية الانحرافية!

وعثمان .. أبعد الكفاءات أمثال عمّار وأبي ذر وسلمان، وقدّم الأنذال أمثال معاوية وابن أبي السرح ومروان، وأما أمير المؤمنين عليه السلام فقد أقصاه وأبعده مسافات ومسافات!!

فما عسى أن تكون سياسته ومنهاج عمله: عندما قرّب الطلقاء وأبناء الطلقاء، وجعل ممثله والسائس الأول في حكمه الوزغ ابن الوزغ مروان؟! وكيف ستعيش الأمّة الشرف والكرامة وقد أصرّ بمنهجه الانحرافي على إقصاء الشرفاء وإبعاد الكرماء؟! بل قام بمحاربتهم وعذّب ونفى بعضهم كأبي ذر الغفاري حتى قتله في غربته بعيداً عن أهله وأحبته!

عثمان وآل أمية!

وعثمان، لم يقم بأعباء الخلافة لوحده بل قام معه بنو أبيه وهم بنو أمية «الحزب الأموي» الكافر، يعاضدونه ويعاونونه ويثبتون سلطان حكمه، ويتقاسمون مقدرات الأمة معه! فقد أكلوا بيت مال المسلمين،

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٥٣٣، الحكمة (٣٣٤)

واستولوا على كل مقدراتها بما يذهل له عقل الإنسان، ويعجب من عطاياه - لأهله وحاشيته واتباع حزبه - ما يحيّر الألباب، وكما يقول الأمير عليه السلام: «وقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللهِ [خَضْمَ] خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ!»[1]

خضموا مال المسلمين خضماً!

ما أشهى الطعام بعد ضرورة الجوع، وما أحلى الأكل إذا كانت الأطعمة نضرةً طيبة! هكذا أكل عثمان وأقاربه من بيت مال المسلمين: فقد كانت الأموال طائلة وكثيرة، طيبة ونضرة، وقد جاءت بعد طول انتظار وعقب الضر والافتقار!

نعم، لقد انقضّوا على ثروات الأمّة ومقدراتها كما تنقض الإبل على نبت الربيع؛ حيث إن الإبل تستلذ بنبت الربيع، فتلتهمه بشهوة صادقة، فملأت منه أحناكها تخضمه خضما؛ فنبت الربيع محبوب لديها، وقد جاء عقيب يبس الأرض وطول مدة الشتاء، مع طيبه ونضارته! كما يقول الأمير عليه السلام: «وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللهِ [خَضْمَ] خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ»

وإلى متى الصبر؟!

وعلى كل حال، فمواهب عثمان لأهله وذويه وحاشيته مشهورة، وكذا حالة الفقر والبؤس المخيمة على عامة طبقات الأمة وبالأخص

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٤٩، الخطبة (٣)

المحرومين منها - هي مشهورة - أيضاً!

ولكن، إلى متى يصبر الناس على شظف العيش؟ وإلى أي حدّ يمكن أن تصبر الشعوب على آلام الجوع وأصناف الحرمان؟ وحتى متى يقبل الكرماء أن يرضوا بالعيش على هامش حياة الطغاة: يأكلون فتاة طعامهم، ويرون كيف تُسرق أموالهم وأقواتهم، ويعاينون كيف يشقى أهلهم وأطفالهم؟!

فكان لابد من الثورة والقيام؟!

فكان لابد من الثورة والقيام، وهذا ما حصل؛ فآثار سياسة عثمان الظالمة وجعل الأمة تعيش الفقر المدقع كان كفيلاً بأن يكبو على وجهه، وتنتهي مدة حكمه! وكما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ وأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُه»[1]

إمّا أن يرجع إلى رشده وإما الثورة التي تسقط عرشه!

نعم، قد جاءت الثورة وقوّضت سلطان حكمه، وأسقطت أبّهة عرشه، وإن كان الناس قد تأخروا في القيام!

وعلى كل حال؛ كان لا بُدّ من الثورة والقيام على كل من يحكم الأمة بمثل هذه السياسات الجائرة، ولا يصح من الناس أن يسكتوا على مثل هذه الانتهاكات الظالمة: فخيرات الأمّة لكل الأمّة، لا لفئة خاصة مستبدّة! ومقدرات الشعوب تُقسّم بين أبنائها، لا أن يستولي عليها

١- المصدر نفسه

الحاكم ومَن دار في فَلكه!

فإذا أرادت الشعوب أن تعيش حرّة عزيزة قوية كريمة؛ فعليها أن لا تغُضّ الطرف عن مثل هذه التجاوزات، ولا ترضى بواقع البئر المعطل والقصر المشيد، ولا تقبل بفتات موائد الطغاة، والحال أنّ الأوطان غنية بنعم الرحمان!

بل لا بد لها أن توقف الظلم عند حدّه، والظالم تحاسبه على ظلمه، فإن آب ورجع إلى رشده وإلا فالثورة التي تقوّض عرشه وتزلزل دولته، حتى يعود الحق إلى أهله، ويعيش الناس كباقي الكرماء: لا يستجدون من الحكام ولا من أزلام النظام!

يقول الإمام علي عليه السلام: «اسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ واحْذَرِ الْعَسْفَ[1] والْحَيْفَ[2] فَإِنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ بِالْجَلَاءِ والْحَيْفَ يَدْعُو إِلَى السَّيْف»[3].

١- الشدة في غير حق

٢- الميل عن العدل إلى الظلم

٣- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٥٥٩، الحمكة (٤٨٤)

الشقشقة السابعة:
الإمام علي (ع) والحق المسلوب

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فَمَا رَاعَنِي إِلَّا والنَّاسُ [إِلَيَّ] كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ[1] عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ»[2]

الأمة تتحرر من الأسر!

وها هي الأمة اليوم تتحرر من أسر الطغاة، وتنجو من مخططاتهم، تتحرر من ربق العبودية لأطماعهم وأهوائهم والسير في ركابهم، فتنفض الغبار عن نفسها، وتكسُر الأصفاد التي قيدها سنيناً في طوامير سجونهم ومعتقلاتها!

فلم تكن الأمة لتملك مصير نفسها، وما كان لها الحق في تعيين رئيسها، وما كانت تملك الجرأة على أن تعترض إذا سُلب حقها؛ لأنّها

١- يتتابعون مزدحمين

٢- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٤٩

الخطبة (٣) ومن خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية وتشتمل على الشكوى من أمر الخلافة ثم ترجيح صبره عنها ثم مبايعة الناس له!

كانت في أصفاد شراك دهاة السياسة مقيّدة مقعدة، غير قادرة على القول أو الحركة، بل ما كانت تبصر شيئاً جراء الغيوم المعتمة للأضاليل الخادعة والأكاذيب الزائفة التي مارسها الإعلام الحاكم! مضافاً إلى شدّة بطشه واستيلائه على كل مقدرات الأمة وشؤونها!

نعم، اليوم تمكنت أن تثور وتقوم وتتحرر من ربق العبودية وأسر أطماع شر البرية!

الأمة الواعية المريدة وتقرير مصيرها!

والأمّة .. عندما تتحرر في «فكرها» فلا تُعمّى عليها الأمور، وعندما تتحرر في «إرادتها» وسلوكها فتعيش كما تريد وتختار، لا كما يريده أبناء القصور، فعندها يمكن أن تصل الأمّة إلى السعادة والحياة الهانئة!

فالأمّة عندما تكون ذات فكر نيّر وعلمٍ راجح ووعي كامل، وعندما تكون ذات إرادة واستقلالية في سلوكها وإقدامها وإحجامها، فعندها يمكن أن تختار الأصلح لها وما يحقق لها سعادتها؛ فتختار القائد الذي تؤمن بأهليته للقيادة؛ لما ترى فيه من المؤهلات والقابليات، وتختار منهج الدولة وطريقة الحكم الذي تؤمن بأنّه الكفيل لتحقيق سعادتها في الدارين الدنيا والآخرة.

فالأمة الواعية في فكرها والمستقلة في إرادتها وسلوكها، لن تختار إلا ما يكون صالحاً لها.

الأمة تختار علياً عليه السلام !

وهكذا اختارت الأمة علياً عليه السلام، علياً ولا أحد سواه! وقبلت بمنهجه وارتضت بدولته العلوية، ولم تر رغبة في سواها!

وكيف لا تختار علياً عليه السلام ؟! وهو الأعلم والأورع والأزهد و...، فهو الذي لا ندّ له في كل هذه الأمّة؛ الجامع لكل الفضائل والكمالات الفكرية والروحية والعملية!

وكيف لا تختار منهجه؟! وليس هو إلا منهج الإسلام الزلال، القادر على إخراج الناس من الظلمات إلى الأنوار؟!

نعم؛ عندما تتحرر الأمة فهي لن تختار إلا أمثال علي عليه السلام ولن ترضى بغير عدالة علي عليه السلام !!

بتنوير العقول وكسر القيود تتحرر الشعوب!

إنّ الشعوب إذا لم تنخدع بالأكاذيب والأضاليل التي يبثها إعلام العدو الجائر، وعندما تجد الشعوب الفرصة السانحة لتتكلم وتعترض وتثور، فإنّها لن تختار إلا ما يصلحها، سواء أكان ذلك على صعيد الأفراد أم على صعيد المنهج وطبيعة النظام!

والذي يوقع الشعوب قديماً وحديثاً في الشقاء والعناء وعدم انتظام الأحوال الظلمة التي تعيشها على مستوى الفكر بفعل الإعلام الكاذب ونتيجة الأفكار المنحرفة التي تُسمّم بها عقول الشعوب!

وكذا بسبب الأصفاد التي تُقيّد بها الشعوب والتي تمنعها من

الحركة والثورة والقيام!

فلابد لتحقيق الحياة الكريمة التي تليق بالإنسان - خليفة الله في أرضه - من التنوّر بالعلم والمعرفة، حتى يكون الشعب واعياً فطناً، وكذا لابد من تكسير الأغلال حتى لا تقعد حبيس الدار!

فبهذا وذلك تتحرر الشعوب، وتأخذ موقعها بين الشعوب المتقدمة، وتصلح للقيام بدور الخلافة الربانية على وجه الكرة الأرضية!

أهداف الثوار والانعطافات الخطيرة!

إن القيام والثورة على الظلم أمرٌ حق لا ينبغي الارتياب فيه، ولكن ينبغي أن يكون الثائر واعياً في قيامه وثورته؛ فلابد أن يكون دقيقاً في تحديد دوافع الثورة، ومنهج وأسلوب القيام، والأهداف التي يرجوها من الحراك!

وإلا فقد يثور شخصٌ، ويُسقط ظالماً إلا أنه يستبدله بظالمٍ آخر يضعه في محله! وقد يُسقط الشعب نظاماً جائراً، إلا أنه يقيم على أنقاضه نظاماً آخر أكثر فساداً وأشد جوراً! وقد يمارس في أثناء الثورة والقيام وبحجة أن الغاية تبرر الوسيلة ما يتناسب مع لغة الطغاة، لا ما ينسجم مع ذوق ومنهج مسقطي البغاة!

الثورة والقيام لله تعالى!

إن القيام لابد أن يكون لله وحده وامتثالاً لأمره ﴿قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ

بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى وفُرادى﴾[1]، فإذا لم يكن القيام لله تعالى بل كان لأجل النفس وأهوائها الشخصية، أو لأجل الجماعة ومصالحها الحزبية، أو من أجل النفط والمال أو التراب أو غيرها من الأهداف الدنيوية، فإنّ مثل هذا القيام لا نفع فيه ومثل هذه الثورة لن تحقق السعادة للبشرية لا في الدنيا والقريب العاجل، ولا في الآخرة والبعيد الآجل!

إذًا، لابُدّ أن يكون القيام لله وحده، ومن أجل أن تكون كلمة الله هي العليا! وأفضل وسيلة لذلك هو إقامة الدولة الدينية الإيمانية!

أمّا إذا لم يكن القيام لله تعالى، وعلى أساس هذا القيام غير التوحيدي أقيمت الدولة اللادينية، وحُكم بما تهواه النفوس والأهواء؛ لا بما أنزله الله تعالى، فإنّ مصير هذا الثائر وكذا خاتمة هذه الثورة هو الكفر والظلم والفسوق .. ﴿ومَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُون﴾[2]، ﴿... الظالمون﴾[3]، ﴿... الفاسقون﴾[4].

البصيرة في المنطلقات والأساليب والأهداف!

فلا ينبغي للشعوب الثائرة أن تكون من همج الرعاع، فتكون تابعةً لكل ناعق، لم تستضئ بنور علمٍ، ولم تلجأ إلى ركنٍ وثيق، يسوقهم دهاة السياسة من أبناء الدنيا بما يحلو لهم، ويقودهم شياطين الإنس

١- سبأ: ٤٦

٢- المائدة: ٤٤

٣- المائدة: ٤٥

٤- المائدة: ٤٧

بما تمليه عليه شيطنتهم، ويغرقونهم في الأوحال والمستنقعات لمّا انغمسوا في الآثام والشهوات!

فعلى الشعوب أن تكون ذات بصيرة ثاقبة: فتعي «المبادئ والمنطلقات» التي تتحرك على أساسها، وهو القيام لله تعالى وحده، فهو عز وجل قد أمرنا بالقيام على الظلم والظالمين.

وكذلك لابُدّ أن تعي الشعوب «منهج وأسلوب الثورة»، والإسلام بتعليماته وتشريعاته كفيل ببيان الأسلوب الصحيح في كيفية القيام.

وكذلك لابد أن تعي الشعوب «الأهداف» والغايات التي تسعى للوصول إليها، وهو إقامة حكم الله تعالى في أرضه.

وبإقامة «الحكومة الإسلامية» وتطبيقها على الواقع، فإن السعادة سوف تكون من نصيب هذه الشعوب الثائرة! وما أعظمها من سعادة تجمع الدنيا والآخرة!

الأهداف المتباينة للثوار!

إنّ من قام وثار على عثمان هم أصنافٌ متعددة من الأمّة، وهم أصحاب مشارب وأهواء وأهداف متباينة ومتناقضة:

فصنفٌ قام على عثمان لأنه ضيّع كل مقدرات الأمّة بسياسته الهوجاء؛ حتى أحلّ بالأمة الفساد والدمار، فأصبحت الحياة لا تُطاق، والنفوس غير قادرة على تحمل المزيد من الإقصاء والاضطهاد، والأهم من كل ذلك، أنّ حكومة عثمان ما باتت تحكم بما أنزل الله تعالى؛ بل

تحكم بما يهوى الشيطان، وهذا أهم منطلق لمثل هذا الصنف من الناس!

وهناك صنف آخر من الناس، قام على عثمان ودعى للثورة عليه، ولكن كان ذلك من أجل مصالحهم الشخصية وأهوائهم الدنيوية والتي لن تتحقق إلا بزوال عثمان! فأمثال طلحة والزبير ما كان يهمهما وضع الأمّة وحال الناس المتردي؛ بل الذي حداهم للقيام هو أمانيهم بالحصول على الامرة والتسلط على مقدرات الأمة![1]

أولياء الله وأولياء الشيطان .. والقيام!

مالك الأشتر يثور وطلحة والزبير يثوران، وما أبعد ما بينهما بُعد المشرق والمغرب!

فمالك الأشتر قد قام لله تعالى، وهو لا يرجو غيره، ولا يسعى لمصالح نفسه، بل همّه معاناة شعبه.

وأما طلحة والزبير فما قاما وما ثارا إلا لجمع المال وتحصيل المنصب، فلم يكن لمعاناة الناس في قاموسهم أي معنى، فضلاً أن يكون حراكهما غيرةً على دين الله تعالى!

وعليه: فلا ينبغي أن يكون التقسيم للثوار على أساس واحد، فنساوي بينهم لأنّهم كانوا شركاء في إسقاط الطاغوت، ولأنّ الجميع قدم التضحيات في إزالة الكابوس!

١- نهج البلاغة، الحكمة (١٨٧)

نعم؛ لا ينبغي أن نساوي بين من يقوم لله تعالى ومن يقوم للشيطان، بين من يقوم للآخرة ومن يقوم للدنيا؛ فما هي الفائدة من كثير من الثوار الذين سعوا لإسقاط الطاغوت والحال أنهم الطاغوت عينه، فما إن يتمكنوا بل وقبل أن يتمكنوا حتى يظهر فسادهم وإضلالهم وإهلاكهم للحرث والنسل كما فعل هذان الرجلان في معركة الجمل الدامية!

الرؤية الإلهية في تقييم الثوار والثورات!

إن الثوار قد يشتركون في «الظاهر»: فهذا متظاهر وذلك متظاهر، وهذا ثائر وذلك ثائر، وهذا يُقدّم التضحيات ويعاني ويكابد وكذلك الآخرون!

ولكن المهم أن لا نكتفي بالظاهر؛ بل لابد أن ننظر إلى «الباطن» واللب والعمق، أي ننظر إلى المبادئ والأهداف التي يسعى الثائر ويتحرك في ظلالها، فمن اللازم أن ننظر إلى الأمور بـ«عقلانية» وبـ«نظرة دينية» وبـ«رؤية كونية إلهية».

فلمَ نثور على هذا الظالم؟ وما هي طبيعة هذا الظلم الذي لا ينبغي السكوت عليه؟

إنه ظلم العباد، والظلم بالخروج عن طاعة رب العباد، واتخاذ غير منهج الإسلام الذي هو منهج الرشاد ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]!!

١- آل عمران: ٨٥

وعليه: فأي ثائر لا يريد أن يدخل في عبودية الله تعالى فهو ظالمٌ لنفسه، وهو ظالمٌ بحق شعبه وأمّته.

وهو لن يتمكن في آخر المطاف من تحقيق السعادة لأهله ووطنه لا سعادة الدنيا ولا سعادة الآخرة! وافتح عينيك لترى حقانية ذلك ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى﴾[1].

طاغوتٌ يخلف طاغوتاً!

وعندما لا تكون «المنطلقات ربّانيّة» ولا «الأهداف إلهية»؛ فإنّه قد يسقط ظالم إلا أنه لا كثير عناء في ذلك، فإن الأشد والأصعب هو ما بعد سقوط الطاغوت؛ فطاغوت عثمان سقط، إلا أنه أعقب هذا السقوط لطاغوت واحد ظهور طواغيت بأشكال متعددة؛ من طاغوت طلحة والزبير ومن ثم طاغوت معاوية وابن العاص وأخيراً طاغوت الخوارج ومعركة النهروان!

والجدير بالملاحظة أن بعض هذه الطواغيت كان سبباً في سقوط الطاغوت السابق إلا أن إفسادها وطغيانها فاق كل ممارسات عثمان!! فهل مثل هذا الصنف من الثوار يعد شرفاً للثوار؟ بل هل يصح أن نسميهم ثواراً؟!

الثوار وعقبات المسير!

إن وضوح «المبادئ» و«الأهداف» تجعل الثائر ثابت القدم أمام

١- طه: ١٢٤

المستقبل القادم؛ فهناك منزلقات وعقبات ومَن لم يتسلح بالوعي الكافي والإرادة الصلبة فإنّه لن يقدر على تحقيق ما يصبو إليه، ولن يتمكن من الخروج من هيمنة الطغاة وظلمهم الذي يتلوّن بمختلف الألوان ويظهر بمختلف الأشكال!

وإنّ أصعب ما يواجه الثوّار في سلوك طريق ذات الشوكة هو طول المسافات التي لا بد لهم أن يقطعوها ويتجاوزوها بسلام؛ فهناك ابتلاءات وعقبات مختلفة ومتنوعة، وقد يتمكن الثائر من اجتياز بعضها لوضوحها وسهولة تجاوزها؛ إلا أنّه قد لا يتمكن من اجتياز بعضها الآخر، وذلك لخفائها وشدة ظلمة ملابساتها!! وعليه فإنّ تحقيق النجاح في بعض الامتحانات لا يعني نهاية المطاف؛ بل لابد من الحذر على الدوام حتى الوصول إلى بر الأمان!

القيام بالثورة وبناء الدولة!

وإن «بناء الدولة» أصعب من «القيام بالثورة» واسقاط الطاغوت؛ فالهدم أسهل من البناء وأصعب ما في البناء أن يكون البناء بالحق وفي الحق وإلى الحق! فهذا نوعٌ خاص من البناء لا يقدر على تشييده وإقامته إلا صنفٌ خاص من الناس ممن شملتهم العناية الربانية: من الذين سعوا لتحصيل زاد هذا البناء، متسلحين بالعلم والوعي والإدراك الحق، وحاملين العزم والإرادة والهمة العالية!

وعليه: فإقامة «الحكومة الإسلامية» تحتاج إلى نوعٍ خاص من الثورات والثوّار، وإلى بذل كل الطاقات الفكرية الربانية والإرادة الإلهية، حتى ينعش

الناس بظلالها وبالسعادة التي تحققها والتي لا يمكن لغيرها تحقيقها!

مرحلة الثورة ومرحلة الدولة ومتطلباتها!

إنّ متطلبات «مرحلة الثورة» تختلف عن متطلبات «مرحلة الدولة»، فلكلٍّ منهما خصوصياته وما يلزم تحصيله لتحقيق الثورة أو إقامة الدولة، ولا ينبغي الاشتباه في ذلك؛ فقد يكون «الثائر» واجداً لمتطلبات الثورة من الشجاعة والإقدام وتحمل ظلم السجّان؛ إلا أنه غير واجد لمتطلبات الدولة من الوعي والكياسة والفطانة والنزاهة والتقوى!

والنقطة المهمة في المقام والجديرة بعدم الغفلة عنها: أنّه وفي «مرحلة الثورة» لابُدّ من السعي لإيجاد متطلبات الدولة أيضاً؛ خصوصاً في الأوقات التي لا يمكن للثائر أن يعمل شيئاً مذكوراً كحال الثائر وهو في السجن؛ حيث يلزمه أن يكمل عقله، ويزيد في وعيه من خلال التزود بالعلوم النافعة، وكذا يلزمه أن يهذب نفسه ويعيش القرب مع ربه!

والسر في ذلك: أنه إذا سقط النظام الطاغوتي فإن المطلوب هو إقامة النظام العادل مباشرة، فإذا لم يكن الثوّار مأهلين لإقامة وبناء الدولة الحقة العادلة، فقد يأتي بعض الأشخاص أو بعض الأحزاب ممن تجيد الركوب على الأمواج والأكتاف، فيستولون على كل الأمور، ويستحوذون على كل مكتسبات الثورة والثوار .. فيفوت الأمر وينتكث القتل وتذهب كل التضحيات سدى!!

الأمة ثارت ولكنها هل ستستقيم؟!

وهكذا اجتمعت الأمة! ولم تجتمع لأحدٍ كما اجتمعت على أمير المؤمنين عليه السلام فقد جاءته مبايعة راغبة خاضعة، مؤملّة فيه أن ينقذها من ظلم هذا الحزب؛ حزب الشيطان، ويحقق لها العدالة التي وجدوها في دولة النبي محمد صلى الله عليه وآله والتي هُجرت منذ ٢٥ عاماً!

جاءوه وهو الأمل المؤمّل؛ حيث لا يقدر على عظم هذه المسؤولية سواه، ولا يتمكن من حمل هذا الثقل غيره!

جاءوه ولكن بعد مدة مديدة، وبعدما تمكنت الشجرة الخبيثة!! فهل الأمة اليوم تقدر على مناجزة «الكفر» الذي تلبّس بثوب «النفاق» والأطماع والجهالات؟ وهل الأمة اليوم تتمكن من أن تبصر ألاعيب ابن النابغة والطليق ابن الطلقاء؟ وهل الأمة اليوم قادرة على رؤية من تلبّس بثوب الخداع، ولن تنخدع بتاريخ بعض الصحابة، ولن تتزلزل عندما ترى الجمل ومن ركب؟ وهل الأمة اليوم تتمكن من كشف زيغ تلك الجباه السود القارئين للقرآن في آناء الليل وأطراف النهار؟!

الشقشقة الثامنة:
حزب النفاق يعود لحرب الإمام (ع)

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ ومَرَقَتْ أُخْرَى و[فَسَقَ] قَسَطَ آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللهَ سُبْحَانَهُ [حَيْثُ] يَقُولُ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ ولا فَساداً والْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1] **بَلَى واللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا ووَعَوْهَا ولَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ ورَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا**[2]**»**[3]

طلب العلو والإفساد في الأرض!

المارقون والقاسطون والناكثون، أوجهٌ متعددةٌ، ومشارب متفرقةٌ، وآراء متباينةٌ، وميولاتٌ وأهواءٌ متناقضةٌ، هذا بحسب الظاهر وبالنظر

١- القصص: ٨٣

٢- الزِبْرِجُ: الزينة من وشي أو جوهر

٣- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٤٩

الخطبة (٣) ومن خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية وتشتمل على الشكوى من أمر الخلافة ثم ترجيح صبره عنها ثم مبايعة الناس له!

الأولي البدوي والنظرة السريعة غير العميقة!

إلا أنّك إذا تعمقت في الأمر وتجاوزت القشر والظاهر، ووصلت إلى اللّب والباطن، وأعدت النظر مرة بعد أخرى، لاتّضح لك شيء آخر، وأنّ هذه أوجه متعددة لعملةٍ واحدة!

فهناك ما يجمعهم ويوحدهم على الاصطفاف ضد الإمام علي عليه السلام، ومحاربة الحق ومناجزة راية الهُدى، إنه طلب العلو في الدنيا والإفساد فيها!

حب الدنيا رأس كل خطيئة!

لقد كانوا يلهثون وراء المنصب والرئاسة والزعامة، ويعشقون الكرسي والإمرة، ويتناحرون من أجل السيادة والتحكم على رقاب العباد، **فالدنيا قد حليت في أعينهم**، فأخذت بشغاف قلوبهم، وأعمت أبصارهم وأسكرتهم فجعلتهم يتيهون؛ فلا يبصرون طريقاً ولا يهتدون سبيلاً!

فقد كانت «الدنيا» هي المعشوق لهم والمهوى لأفئدتهم، وكانت الدنيا كل آمالهم!

والحال أن الدنيا رأس كل خطيئة ومصيبة وفاجعة! وأول فجائعها: أن تسلب الإنسان دينه وإيمانه وعقله! وهكذا خدعتهم الدنيا وغرّتهم، ووثقوا بها فصرعتهم! حتى وصلوا في آخر المطاف إلى حرب مولى الموحدين وأمير المؤمنين عليه السلام والذي لولاه ما قام الدين! فسقطوا في وادي الضلال وارتحلوا إلى النيران الخالدات!

وإنما بدأ وقوع الفتن وأهواء تتبع!

فهم - المارقون والقاسطون والناكثون - لم يعيشوا الدّين إلا ظاهراً، ولم يلتزموا بالإسلام إلا نفاقاً، ولم يعبدوا الله إلا كرهاً، فقد كانوا يعيشون قشور الإسلام، ويكتفون بظواهر الأحكام، ولم يوصلوا إلى قلوبهم حاق الإيمان!

فكان ما كان: أن سفكوا الدماء، وهتكوا الأعراض، ونهبوا الأموال، وعاثوا في الأرض الفساد!

والأدهى والأمرّ من فعالهم: أنهم زعزعوا دولة العدل الإلهي، وفوّتوا على الإسلام والمسلمين أفضل فرصة نورانية لنشر الإسلام الأصيل فيها بيد أمير المؤمنين عليه السلام!

كلُّ ذلك بسبب أطماعهم وأهوائهم وشيطنتهم، ونتيجة جهلهم وضحالة أفكارهم.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللهِ وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللهِ»[1]

حاربوا علياً لأنه يهدد دنياهم!

ما كانوا يجهلون علياً عليه السلام ولا علمه ولا عدله ولا كل فضائله!

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٨٨

الخطبة (٥٠) ومن كلام له عليه السلام وفيه بيان لما يخرب العالم به من الفتن وبيان هذه الفتن

وما كانوا يشكّون في أنّه الخليفة الحق، فهم على يقين من كل ذلك!

ومع كل ذلك حاربوه وعادوه وناجزوه؛ لأنّه كان يهدد دنياهم الفتون ومعشوقهم الظلوم!

وحب الشيء يعمي ويصم؛ وقد أعمتهم الدنيا وأصمتهم الآمال، فغدوا صرعى الشهوات وأسرى الرغبات، فقد صرعتهم الشهوات قبل أن تأخذ السيوف أرواحهم، وقتلتهم الأماني قبل أن يخطف الموت أنفاسهم!

نعم؛ لقد ماتوا قبل أن يموتوا؛ ماتت أرواحهم، وزالت القيم عنها، وانمحت عناصر الخير منها.

ومن ثم تم الإجهاز على أجسادهم وأبدانهم! فـ «أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ»[1] «والأَْمَانِيُّ تُعْمِي أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ» [2].

الدنيا تتلون لأبنائها فتخدعهم!

وهكذا الدنيا، تأتي إلى كل شخص وإلى كل صنفٍ من الناس باللون والشكل الذي يمكن أن تخدعهم وترديهم وتصرعهم، فهي – الدنيا - تُجهز على الجميع بمختلف ألاعيبها وأصناف حيلها؛ فمنهم من «ناكث» ومنهم من «قاسط» ومنهم من «مارق»! فكلهم أبناء الدنيا، ولأجلها حاربوا علياً عليه السلام.

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٥٠٧، الحكمة (٢١٥)

٢- المصدر نفسه، ص:٥٢٤، الحكمة (٢٨١)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ وخَصِيمُ النَّاكِثِينَ الْمُرْتَابِينَ وعَلَى كِتَابِ اللهِ تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ وبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ»[1]

«لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ ولَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وعِمَادُ الْيَقِينِ إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي ولَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ وفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ والْوِرَاثَةُ الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ ونُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ»[2].

فالكل يزعم - بقتالهم للإمام علي عليه السلام - أنّهم طالبون للحق ناصرون له!

أولاً: مع الناكثين و«حزب الجمل»

كانوا من السابقين!

طلحة والزبير، كانا من السابقين في دخول الدين، وتحمّلا من أجله أصنافاً من الأذى صابرين محتسبين، وقارعوا وصمدوا أمام ترهيب القرشيين، في تلك الأيام الشداد وعندما كان الإسلام غريباً وحيداً يعاني قلّة المسلمين وكثرة المعاندين!

عاينوا ظلامات إخوتهم، وكيف أنّ صناديد قريش يسومونهم سوء

١- المصدر نفسه، ص:١٠٣

الخطبة (٧٥) ومن كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان

٢- المصدر نفسه، ص:٤٧

الخطبة (٨٣) ومِنْهَا [فِي الْمُنَافِقِينَ] يَعْنِي قَوْماً آخَرِين

العذاب: يقتلون ياسر وزوجه، ويعذّبون عماراً وبلالاً! فقد كانت القسوة بادية والثبات مستميتاً، والبلاء عظيماً والصبر جميلاً!

هكذا كانت بدايتهم ولكن كيف صارت خاتمتهم؟!

لأنهم كانوا مع الله!

طلحة والزبير عاشا تلك الأجواء، وصبرا على تلك الصعاب، وتحمّلا أصناف العذابات! لأنهما كانا يرجوان «**الله**».

بذلا ما كانا يملكان ونظرهما متوجهٌ نحو «العقبى» معرضٌ عن «الدنيا»، فكان ذلك الثبات وتلك الاستقامة على طريق ذات الشوكة!

وهكذا تصمد النفوس وتثبت الأقدام وتطمئن القلوب، ويعقب كل ذلك سعادة في الدنيا وفلاح في الأخرى.

وكما يقول الإمام علي عليه السلام: «أَلَا وإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ، أَلَا وإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ»[1].

طريق ذات الشوكة والمنزلقات!

وطريق ذات الشوكة يحتاج إلى الاستقامة على الهدى، ومراقبة

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٢٤٩
الخطبة (١٧٣) ومن خطبة له عليه السلام في رسول الله صلى الله عليه وآله ومن هو جدير بأن يكون للخلافة وفي هوان الدنيا

النفس من أن تزلّ فتردى!

وأصعب ما في ارتياد «طريق الهدى» و«سبيل الإيمان» و«العبور على الأشواك»: هو الثبات وعدم التراجع والانهزام؛ فقد يصمد الإنسان في أُولى الساعات والأيّام والسنوات إلا أنه يتعثر أو يسقط مع كثرة المنزلقات وشدّة العَقبات وتطاول الزمان، ومع تنوع الفتن وتتابع الاختبارات والمحن! حتى يحصل الانقلاب على الاعقاب وتهديم كل ما شيّد من بناء، ومن ثم الهوي في النيران!

يقول الإمام علي عليه السلام وهو يشكو من فعل طلحة والزبير ومن سار في ركابهما: «فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِي وخُزَّانِ بَيْتِ [مَالِ] الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ وعَلَى أَهْلِ مِصْرٍ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وعَلَى بَيْعَتِي فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ وأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ ووَثَبُوا عَلَى شِيعَتِي فَقَتَلُوا طَائِفَةً منْهُمْ غَدْراً و[طَائِفَةً] طَائِفَةٌ عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللهَ صَادِقِين»[1]

من حب الله إلى حب الدنيا!

إنّ أعظم سبب لكلّ الانزلاقات وأخطر شيء بسبب تضييع المكتسبات؛ بل السبب المحوري لكل الانحرافات هو «**حبّ الدّنيا**» والارتماء في اللذائذ والشهوات والاغترار بالمال والجاه والحطام،

١- المصدر نفسه، ص:٣٣٦

الخطبة (٢١٨) ومن كلام له عليه السلام في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه

فـ«حُـبُّ الدُّنْيَـا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَـةٍ»[1]!

وعندما يفرغ القلب من «**حبّ الله**»، ويضع مكانه «**حبّ الدّنيا**» فعندها سوف يتغير «المسار» بعد أن تغيرت قِبلة الفؤاد، وسوف تذهب تلك التضحيات أدراج الرياح بفعل العواصف العاتية للأماني والمشتهيات التي لا تبقي ولا تذر شيئاً من الجهود والإنجازات، يقول الإمام علي عليه السلام: «وَإِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا اللهُ عَلَيْهِ فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا»[2].

وهكذا خسروا!

وهكذا خسر طلحة والزبير وأمثالهما؛ فبعد كل تلك التّضحيات والصّبر على طول المعاناة والبذل في خدمة الإسلام، وبسبب الوقوع في شراك الدنيا والانخداع بزخرفها وزبرجها واللهث وراء حطامها، وإرادة العلو والإفساد فيها .. فإنّهما دمّرا كلّ ما أنجزاه وأحرقا كل ما جمعاه، فكانت الخاتمة السيئة والعاقبة المظلمة وخسران الدنيا والآخرة!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يظهر عذره في قتال أصحاب الجمل: «فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله كَمَا تُجَرُّ الْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا وَأَبْرَزَا حَبِيسَ[3]

١- الكافي، ج:٢، ص:١٣١

٢- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٢٤٤
الخطبة (١٦٩) ومن خطبة له عليه السلام عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة

٣- حَبيس: فعيل بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وأم المؤمنين كانت

رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُمَا ولِغَيْرِهِمَا فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ وسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا وخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً وطَائِفَةً غَدْراً فَوَاللهِ [إِنْ] لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِداً مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا ولَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ ولَا بِيَدٍ دَعْ مَا [إِنَّهُمْ] أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِم»[1]

قصة طلاب الرئاسة في كل الأزمان!

لقد بايع طلحة والزبير علياً عليه السلام طمعاً بولاية الكوفة والبصرة، لكنّهما لما رأيا ثبات علي عليه السلام في دينه وعزيمته الراسخة التي لا تلين، ووجدا أن علياً مُصمم على أن يؤسس مسار حكومته على أساس الكتاب وسنة النبي ﷺ تمرّدا عليه!![2]

محبوسة لرسول الله لا يجوز لأحد أن يمسها بعده كأنها في حياته

١- المصدر نفسه، ص:٢٤٧

الخطبة (١٧٢) ومن خطبة له عليه السلام

٢- قال أبو الحديد المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة: «قد تقدم منا ذكر ما عتب به طلحة والزبير على أمير المؤمنين عليه السلام وأنهما قالا ما نراه يستشيرنا في أمر ولا يفاوضنا في رأي ويقطع الأمر دوننا ويستبد بالحكم عنا وكانا يرجوان غير ذلك وأراد طلحة أن يوليه البصرة وأراد الزبير أن يوليه الكوفة فلما شاهدا صلابته في الدين وقوته في العزم وهجره الادهان والمراقبة ورفضه المداسة والمواربة وسلوكه في جميع مسالكه منهج الكتاب والسنة وقد كانا يعلمان ذلك قديما من طبعه وسجيته [....]حالا عنه وتنكرا له ووقعا فيه وعاباه وغمصاه «تهاونا بحقه» وتطلبا له العلل والتأويلات وتنقما عليه

فقد استولى حبّ الجاه والرئاسة على قلبيهما، فصماً وعمياً وتخبطاً في الظلمات!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ ويَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ لَا يَمُتَّانِ إِلَى اللهِ بِحَبْلٍ ولَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ[1] لِصَاحِبِهِ وعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ واللهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا ولَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا»[2].

نعم «فهذه هي قصّة طلاب الرئاسة على الدوام، فمعبودهم الرئاسة وكفى! وهم يضحون بكل شيء في سبيلها»[3].

ثانياً: مع القاسطين و«حزب صفين»

ما أسلموا ولما وجدوا أعواناً أظهروا الكفر!

معاوية بن أبي سفيان، هذا الذي أخذ الشيطان منه مأخذه، وبلغ فيه أمله، وجرى منه مجرى الروح والدم! المختلف العلانية والسريرة، المتمادي في غِرَّة الأمنية، ما أسلم ولكنه استسلم وترك الإسلام طائعاً

الاستبداد وترك المشاورة وانتقلا من ذلك إلى الوقيعة فيه..» شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١١، ص:١٠

١- الضّبّ: بالفتح ويكسر: الحقد

٢- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٢٠٦
الخطبة (١٤٨) ومن كلام له عليه السلام في ذكر أهل البصرة

٣- رسالة الخواص، ص: ٩١

ودخل فيه كارهاً! عاش كافراً وبقي منافقاً!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا أَسْلَمُوا ولَكِنِ اسْتَسْلَمُوا وأَسَرُّوا الْكُفْرَ فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوه»[1].

فـ«معاوية» لم يُسلم بقلبه، وإنّما أسلم بلسانه فقط خوفاً من القتل وقد أسرَّ الكفر، فلما وجد عليه أعواناً وأنصاراً: أظهر الكفر الذي كان مستوراً، وحارب الإسلام قتالاً مستميتاً!

قائدهم معاوية ومؤدبهم ابن النابغة!

معاوية بن أبي سفيان .. يعلنها اليوم حرباً على علي عليه السلام، ويرفض بيعته ولا يراه خليفة شرعياً! ويتّهمه بأنه يحمي قتلة عثمان وهو ولي دمه والطالب بثأره!!

وهكذا تفعل الدنيا بأولادها ومن يسكر في هواها: تطيّر عقولهم وتسلب ألبابهم، فلا تجعلهم يهتدون لحجة، ولا ينطقون بمنطق وعقلانية!

فهم يهذون ويشرّقون ويغرّبون تائهين في الظلمات، ظلمات الجهل والضغائن واللهث وراء الشهوات، وهي ظلمات بعضها فوق بعض، لا يهتدي من وقع فيها ولا يقدر على الخروج منها!

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٤١٥
الكتاب (٤٣) ومن كتاب له عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على أردشيرخرة

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ [1] مِنَ الْجَهْلِ بِاللهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ ومُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ»[2].

فإذا كان الرئيس القائد هو معاوية والمؤدب ابن النابغة، وهما أئمة الغدر والخداع والجهل والبعد عن الله تعالى، فما هو حال الأتباع لهما؟! إنّه بعدٌ عن الله تعالى وجهلٌ به وحربٌ لأوليائه وأحبّائه!

معاوية يغدر ويفجر!

إنها الدنيا مرة أخرى، تزينت لمعاوية وحزبه، حزب الكفر والنّفاق، وتلونت لهم هذه المرة بـ«قميص عثمان» يرفعونه ويتباكون عليه من أجل أن يصلوا إلى دنياهم الفتون!

نعم، رفعوا شعار المظلومية ولكن ليظلموا، وتباكوا بالمقهورية ليقهروا! ودعوا لإقامة القسط لأجل أن يجوروا!!

إنّها الدنيا إذا راقت لعشيقها ولهث الحبيب في هواها؛ حيث لا تجعله يُبصر، وتسكره فلا تتركه يرشد، فهو لا يبصر إلا الشهوات والأماني والنّزوات، ولا يسمع إلا الملاهي والموبقات!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وَاللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي ولَكِنَّهُ يَغْدِرُ ويَفْجُرُ ولَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ ولَكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ

١- أقْرِبْ بهم: ما أقربهم من الجهل

٢- المصدر نفسه، ص:٢٥٩

الخطبة (١٨٠) ومن خطبة له عليه السلام في ذم العاصين من أصحابه

وكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ ولِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ واللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ ولَا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ»[1].

حارب علياً ظلماً وعلواً!

ومعاوية .. كان يعرف من هو الإمام علي عليه السلام فهو من الذين لا تخفى عليهم مكانته ومنزلته في الإسلام، ولكن ماذا يؤثّر هذا العلم في معاوية عدو الإسلام الأول: الذي خلع لباس الكفر، وارتدى لباس النفاق من أجل أن يطمس معالم الدين!

وماذا يعني لمعاوية شأن الإمام علي عليه السلام الرفيع وهو الذي ما فتئ ليلاً نهاراً يطفئ نور الهداية النازل من رب العالمين، حتى قالها صراحاً جهاراً: دفناً دفناً!!

واستمع إلى الأمير عليه السلام وهو يتظلم ويشتكى من قريش: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ ومَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي وصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِيَ وأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي ثُمَّ قَالُوا أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَه»[2].

إنه قلبٌ قسى وروحٌ أظلمت ونفسٌ خبثت، وهو رأس الكفر والنفاق، معادٍ لأهل التقوى والإيمان؛ وكيف لا يعادي معاويةُ علياً عليه السلام وهو

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٣١٨
الخطبة (٢٠٠) ومن كلام له عليه السلام في معاوية

٢- المصدر نفسه، ص:٢٤٦
الخطبة (١٧٢) ومن خطبة له عليه السلام

الطهر والنور وأساس الإيمان؟!

يقول الأمير عليه السلام: «وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ *** ولَكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

وهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ ولَا غَرْوَ واللهِ فَيَا لَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ ويُكْثِرُ الْأَوَدَ[1] حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ وسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ وجَدَحُوا[2] بَيْنِي وبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَى أَحْمِلْهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ وإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُون﴾»[3]

حزب الشيطان لا يكفّ عن مناجزة حزب الله!

إنّه «حزب الشيطان» الذي لا يكفّ عن مناجزة «حزب الله» في كل زمان ومكان! فهي حربٌ ضروس بينهما ما دامت السماوات والأرضون؛ فأبناء الدنيا وأبناء الآخرة، وحزب الشيطان وحزب الله، لا يمكن أن تخلو منهم الأزمان والأوطان: فلكل فرعون موسى، ولكل نمرود إبراهيم، ولكل معاوية علي!!

١- الأوَد: الاعوجاج

٢- حَدَجُوا: خلطوا

٣- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٢٣١

الخطبة (١٦٢) ومن كلام له عليه السلام لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به

فلنفتّش في الزمان الذي نعيشه والمكان الذي نستوطنه: فنشخّص معاوية الزمان وعلي المكان ونتخذ الموقف الإيماني بالوقوف مع علي وحزبه «حزب الله»، والموقف ضد معاوية وحزبه «حزب الشيطان»!

وهذه الحرب الضروس دائمة الاستعار حتى قيام الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف وقيام الدولة العالمية، وعندها تكون كلمة الله هي العليا، بلا شريك ولا منازع، وتكون الحكومة للمستضعَفين والمظلومين، والعاقبة للمتقين!

ثالثاً: مع الخوارج و«حزب النهروان»

عاشوا جهّالاً وماتوا ضلالاً!

الخوارج .. أصحاب الجباه السود، القائمون بالأسحار، التالون للقرآن، الذين خدعوا الناس بتنسّكهم، وغرّوا الجهال بعبادتهم، الذين لم تتجاوز آيات الكتاب تراقيهم، ولم تُنر المناجاة قلوبهم، ولم تُلن العبادة قلوبهم!

هؤلاء وقفوا في حربٍ طاحنة دامية أيضاً في وجه إمام الحق وخليفة الله في السماء والأرض! وقد كانوا مورداً لشكوى الإمام عليه السلام بسبب جهلهم وضلالهم: «إِلَى اللهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالًا ويَمُوتُونَ ضُلَّالًا لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ولَا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعاً ولَا أَغْلَى ثَمَناً مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ولَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ ولَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ»[1].

١- المصدر نفسه، ص:٦٠.

فمن يعيش جاهلاً فسوف يموت ضالاً منحرفاً عن الصراط المستقيم، ولن يصل إلى الغاية والكمال والسعادة! وإذا فُسّر الكتاب وحُمل على الوجه الذي أنزل كما فسّره لهم الإمام علي عليه السلام فإنّهم لا يقبلونه ولا يأخذون به بل يعتقدونه فاسداً ويطرحونه بجهلهم!

أمّا إذا حُرّف الكتاب عن مواضعه ومقاصده، ونزل على حسب أغراضهم وأهوائهم ومقاصدهم، فإنّهم يشرونه ولو بأغلى الأثمان، وكان أنفق سلعة بينهم!

و«المعروف» إذا خالف أغراضهم وأهواءهم، فإنّهم يطرحونه ولا يأخذون به؛ بل يصير عندهم منكراً يستقبحون فعله!

و«المنكر» الذي يتوافق مع أغراضهم يأخذون به حتى يصير عندهم معروفاً يفتخرون بفعله!!

غرهم الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء!

الخوارج .. القشرية في فهم الدين والنظرة الضيقة والمعوجّة للحياة مضافاً إلى العصبية والغرور والكبر والحمية والاغترار والاعتزاز.

يعيشون الجهل العلمي والجهالة العملية: فهم أذنٌ صاغية للأكاذيب والألاعيب الشيطانية: فتارة يقعون في مكيدة المصحف العاصية، وأخرى يرتمون في وحل الأموال الأموية!

الخطبة (١٧) ومن كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل

والأعجب من كل ما تقدم: أنّهم لا يرضون بأن يعيشوا الجهل والجهالة والضلال والغواية في حياتهم الشخصية فحسب؛ بل يصرّون على جبر الآخرين بأن يسيروا كما ساروا، ويعيشوا كما عاشوا؛ فقد اعترضوا على أمير المؤمنين عليه السلام، وحاربوه لأجل ذلك - أن يسير في ركابهم ويمشي خلفهم ويطيع أمرهم!!-.

وهكذا الجهل وخساسة النفس وما تفعلان في صاحبها؛ بل وهن يعيش قريباً ممن ابتلي بهما!!

«وَقَالَ الإمام علي عليه السلام وقَدْ مَرَّ بِقَتْلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ: بُؤْساً لَكُمْ لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ، فَقِيلَ لَهُ: مَنْ غَرَّهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ والْأَنْفُسُ [النَّفْسُ] الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ وفَسَحَتْ لَهُمْ بِالْمَعَاصِي [فِي الْمَعَاصِي] ووَعَدَتْهُمُ الْإِظْهَارَ فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّار»[1]

فما كان قتالهم وتقديم دمائهم من أجل الدين ورفع راية الإسلام؛ بل لأجل الدنيا؛ فالأماني بالغلبة والقهر والانتصار؛ ومن ثم الحصول على الرئاسة والجاه، كان الدافع لقيامهم. والأماني هي تفسح لهم في ارتكاب المعاصي، وتحلل لهم الحرام وتجرئهم على اقتحام المحظورات، وتزين لهم القبائح والموبقات!

ونتيجة هذه الأماني أنْ تقحموا في النيران؛ بعد أن نغّصوا الحياة على الأبرار!

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٥٣٢

نصبوا للناس أشراكاً من حبائل الغرور!

والخوارج؛ قد حسبوا أنفسهم علماءً وسائر الناس جُهّالاً، وتوهموا أنّهم مع القرآن وباقي الخلق ضدّه، وتخيلوا أنّهم مع الحق في إيقاف الحرب بعد أن رُفعت المصاحف وغيرهم على باطل.

وهكذا كانوا: هم فقط وغيرهم لا! فلا هم يفهمون ويعون، ولا يريدون أن يفهموا ويعوا؛ بل هم غير قادرين على فهم ووعي ما حولهم من الأساس!

وهم في كل يوم في ظلمة، ومع كل ابتلاء في فتنة، يسيرون فيتعثرون ويقعون فلا يتمكنون من النهوض والقيام! ومع كل ذلك لا يكتفون إلا بأن تقبلهم الأمة وتسمع لهم، بل لابد أن تسير خلفهم وتتابعهم في جهلهم وجهالاتهم وضلالهم وتخبطهم!!

يقول الإمام علي عليه السلام: «وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً ولَيْسَ بِهِ فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ وأَضَالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ ونَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكاً مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ وقَوْلِ زُورٍ قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ وعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ الْعَظَائِمِ ويُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ.

يَقُولُ: أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ، وفِيهَا وَقَعَ! ويَقُولُ: أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ، وبَيْنَهَا اضْطَجَعَ!

فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ والْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ ولَا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ وذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ»[1]

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:١١٩

الخطبة (٨٧) ومن خطبة له عليه السلام وهي في بيان صفات المتقين وصفات الفساق والتنبيه إلى مكان العترة الطيبة والظن الخاطئ لبعض الناس

فهُم قد يتسمّون ويدّعون شيئاً، ولكن واقعهم وحقيقتهم في الجهة المقابلة والمناقضة لما يدعون!

فهم لم يقتبسوا علماً ولا اهتدوا طريقاً، وإنّما اقتبسوا جهلاً وسادوا ضُلّالاً! ولم يرضوا بأن ضلوا؛ بل أصروا على أن يضلوا، فنصبوا أشراكهم على طريق السائرين للكمال، يقطعون الطريق عليهم ويأخذونهم في ظلماتهم!

يدعون الناس بأن يرجعوا للقرآن؛ لا لأجل أن يسيرا في هديه بل لأنهم سيتمكنون ومن خلال القرآن - وبعد أن حملوا آرائهم عليه وفسروه بأهوائهم - أن يحرفوا الناس ويجعلوهم يسيرون خلفهم.

فهم حملة القرآن ومفسروه! يقولون: نقف عند الشبهات ولا نقدم عليها، ولكنّهم يقعون فيها لجهلهم بمواقع الشبهة وغيرها! ويقولون: نعتزلُ كل ما يخالف قوانين الشرع، والحال أنّهم متورطون فيها لجهلهم بأصول الشريعة!

وهذا هو حالهم، لا يعرفون بجهلهم قانون الهداية إلى طريق الحق فيسلكونه، ولا وجه دخول الباطل فيعرضون عنه!

يعيشون جهلاً مركباً وجهالة مظلمة؛ لأّن الحياة الحقيقية هي حياة النفس باستكمال الفضائل التي هي بسبب السعادة الباقية، والجهل المركب الذي يعيشونه هو الموت المضاد لتلك الحياة، فالجاهل بالحقيقة ميّت! وهو ميت الأحياء: فلأنه في صورة الحي![1]

١- شرح نهج البلاغة، البحراني، ج٢، ص:٣٥٠

عاشوا أمواتاً وأماتوا أحياءً!

وتبقى الدنيا السبب الرئيس لشقاء مثل هؤلاء وعنائهم، فبحبّها وبالانغماس في لذائذها والاعراض عمّا سواها، جعلهم يقفون في مقابل الحق ويحاربون إمام الحق!

والدنيا تتلون بما يروق لطالبها: فهي قد تلونت لـ«الخوارج» بالعبادة وقيام الليل وتلاوة القرآن! تلونت لـ«الخوارج» بالدّعوة للوحدة ولَمّ شمل المسلمين وعدم التناحر والاقتتال وسفك الدماء، كما فعلوا في صفين!

وهكذا تتلون الدنيا فتغمسهم في الأكاذيب وتعميهم بالأضاليل، وتأخذهم من وادٍ مظلمٍ إلى آخر سحيق! وهكذا أنِسَ «الخوارج» بالدّنيا: فشربوا من كدر حطامها ووحل زخارفها وهم معجبون بها ومستقرون في أحابيلها!

حتى تمادوا في غيّهم وتجاوزوا حدودهم بعد أن عميت أبصارهم وأظلمت وقست قلوبهم: فهدّدوا علياً عليه السلام ثم حاربوه ثم قتلوه!

إنّها الدنيا وفعالها، وما تصنع في من يحبّها، ويقدمها على ما سواها: فهي تُهلك من لا يعرفها وتقتل من لا يفقهها، وتجهز على طالبها والمغتر بها!

وهكذا قتلت الدنيا «الخوارج»، وأردت أرواحهم إلى سواء الجحيم، لكن بعد أن فضخوا رأس أمير المؤمنين عليه السلام !!

يقول الإمام علي عليه السلام وهو يصف الدنيا وما تفعله في أحبائها

والمنخدعين بها: «فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ[1] مَشْرَبُهَا رَدِغٌ[2] مَشْرَعُهَا يُونِقُ مَنْظَرُهَا ويُوبِقُ[3] مَخْبَرُهَا غُرُورٌ حَائِلٌ[4] وضَوْءٌ آفِلٌ وظِلٌّ زَائِلٌ وسِنَادٌ مَائِلٌ، حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا واطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا وقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا وأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا وأَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ ووَحْشَةِ الْمَرْجِعِ ومُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ وثَوَابِ الْعَمَلِ.

وَكَذَلِكَ الْخَلَفُ بِعَقْبِ السَّلَفِ لَا تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَاماً[5] وَلاَ يَرْعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَاماً[6] يَحْتَذُونَ مِثَالاً ويَمْضُونَ أَرْسَالاً إِلَى غَايَةِ الاِنْتِهَاءِ وصَيُّورِ الْفَنَاءِ»[7]

خطر القشريين على المجتمعات!

ولا يخلو أي مجتمع من أمثال هؤلاء القشريين الجهلة: الذين يقصمون ظهور المصلحين بتنسكهم الجاهل، ويشغلون أفكار الناس، ويرهقونهم بضعف عقولهم وخواء آرائهم وعمش بصائرهم!

١- دَنِقٌ: -كفرح-: كدر

٢- رَدِغٌ: كثير الطين والوحل- والمشرع: مورد الشاربة للشرب

٣- يُوبِقُ: يهلك

٤- حائِل: اسم فاعل من «حال» إذا تحوّل وانتقل

٥- أي لا تكفّ المنية عن اختارمها، أي: استئصالها للأحياء

٦- الاجترام: افتعال من الجرم، أي اقتراف السيئات

٧- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:١٠٨
خطبة (٨٣) ومن خطبة له عليه السلام وهي الخطبة العجيبة تسمى «الغراء»

هـذا مضافـاً لاتصافهـم برذائـل الأخـلاق وقسـوة الطبـاع مـن تعصـب وعنـاء ولجـاج! فهـم فـي صفـوف المصليـن يدعـون للفحشـاء والمنكـر!

وممـن يقومـون الليـل ويتهجـدون فـي الأسـحار، وكان ذلـك سـبب هلاكهـم!

ويُعـدّون مـن أهـل الـورع والاجتهـاد والزهـد، والحـال أنّهـم فـي الدنيـا منغمسـين وخلـف شـهواتها لاهثيـن، بـل فاقـوا حتـى الذيـن هـم فـي القصرسـاكنين!

فهـي الدنيـا؛ وقـد تلوّنـت لهـم بهـذا اللبـاس: حيـث تخلـوا عـن الأكل والشـراب وجميـع الثـروات، إلا أنّهـم ابتلـوا بالاعتـداء علـى النفـس وعبـادة الـذات والعجـب والريـاء والتظاهـر بالقداسـة والصـلاح!

وهكـذا ملكـت الدنيـا قلوبهـم وأفرغتهـا مـن حـب خالقهـم «حـب الله»، فصاروا مـن أبنـاء الدنيـا وهـم لا يشـعرون!

داعش .. خوارج هذا الزمان

تمهيد

إنّ الأمـة الإسـلامية قـد تواجـه «عـدواً خارجيـاً»، يهـدد وجودهـا ويزعـزع أمنهـا، ويسـعى لسـلب ثرواتهـا واحتـلال بلادهـا، فتعـدّ الأمّـة العـدّة والعتـاد لقتالـه وتمنعـه مـن الوصـول إلـى منالـه.

وهـذه حربٌ ظاهـرة المعالـم، بيّنـة الأهـداف، مكشـوفة الأعـداء!

وقد تواجه الأمّة الإسلامية عدواً أخفى وأخطر من ذلك العدو الخارجي، إنّه «العدو الداخلي» الذي زُرع -ككيان غريب- في وسط الأمة، وأُلحق به بعض الغرباء اللقطاء ممن جيء بهم من مختلف الدول والبلدان!

فهم يرفعون راية الإسلام، ويدْعون للخلافة وحكومة الملك الدّيان، والحال أنّ الذي أنشأهم ومن ثم تكفل بتربيتهم هم أعداء الإسلام والعدو الخارجي لأمة القرآن!

فماذا سيحمل اللقيط، وبم سيفكر العميل، ما هي أهداف الأجير؟

إنّها الحربٌ على الإسلام باسم الإسلام، وتحقيق لأهداف الشيطان على عباد الرحمن، والتفكير بالقضاء على الأوطان امتثالاً لما يمليه عليهم عبدة الأوثان!

وأمريكا «الشّيطان الأكبر» ومن عاضدها من دول الاستكبار العالمي، هم أعداء الشعوب، وأساس الحروب، وموقدوا الفتن من أجل دنياهم الغرور!

فهم يسعون للهيمنة على مقدّرات البشرية، وبالأخص الدول الإسلامية الغنيّة، لا يهدؤون ولا يفترون، ويختلقون الأكاذيب ويشغلون الحروب، ويهدفون من كل ذلك تحقيق أطماعهم وتحصيل آمالهم، ولو سيراً على جثث الأطفال وجماجم النساء وبرك الدماء!

والاستكبار العالمي وعلى رأسهم الأمريكان والصهاينة، عندما وجدوا الممانعة من بعض الدول الإسلامية، وفي مقدمتهم الجمهورية

الإسلامية؛ حيث لم تقبل بالدنية، ولا الركوع والخضوع وطاعة شر البريّة؛ بل اختارت الحياة العزيزة الأبية.

وبعد أن وجد نفسه - الاستكبار العالمي - ضعيفاً عن المواجهة وجهاً لوجه في الحروب العسكرية، وبعد تلك الضربات القوية التي لاقاها من أبناء المدرسة الكربلائية العاشورية في أفغانستان والعراق وسوريا ولبنان الأبية!

عندها فكّر بأسلوبٍ آخر في المواجهة الفكرية والعسكرية: حيث رجع إلى التاريخ الإسلامي في أول بداياته، وفتش في نقاط قوته وضعفه، وسلّط نظره إلى أعدى أعدائه، فلم يجد - لتحقيق أهدافه - أفضل من متحجري العقول وقساة القلوب!

فأخرج «الخوارج» - وفكرهم الرجعي التكفيري القشري - من طي النسيان، وجعله واقعاً يعيث فساداً في الأوطان؛ فربّى أمثال «ابن لادن» و«الزرقاوي» و«البغدادي»، والقائمة تطول وتطول!

وأنشأ الكيانات الغريبة اللقيطة، وزرعها في قلب العالم الإسلامي: فبالأمس كانت «القاعدة» واليوم «داعش» وغداً؟! وإن غداً لناظره لقريب!!

وعلى الأمة الإسلامية جمعاء: أن تعي الأعداء، ما كان منها خارجياً أو داخلياً ظاهراً أو خفياً، فتعد نفسها للمواجهة، ولا تقبل منهم بالمهادنة! وإن اختلف الأعداء في اللباس والفعال ولحن الخطاب! فهم أعداءٌ وسيبقون أعداءً!!

حربٌ ناعمة وأخرى عسكرية!

والاستكبار العالمي ينتخب الحرب المناسبة لتحقيق أهدافه؛ فتارة تكون «الحرب العسكرية»: يستعمل فيها أنواع السلاح، ويرتكب فيها أفظع الجرائم على الأنام، كما فعلوا بالأمس في اليابان وفيتنام، واليوم في أفغانستان والعراق وسوريا وجنوب لبنان، بحجة الدفاع عن النفس وبذريعة القضاء على الإرهاب!

وتارة تكون الحرب ناعمة، هادئة، ومن غير جلبة ولا ضوضاء؛ حيث الاستحواذ على الفريسة بأخفى مكيدة، وأدهى حيلة!

ومن خلال بسطاء العقول ومرضى النفوس الذين يجعلهم العدو عوناً له على إخوتهم وأهل دينهم ووطنهم!

إنّها حرب - بما تحمله كلمة الحرب من معاني الدمار والفساد وسفك الدماء و... - تبدأ باختراق الفكر والعقيدة، وصياغة نهج ورؤية انحرافية: تقضي على الإسلام باسم الإسلام، وتذبح المسلم بيد أخيه المسلم، وتجعل الشعوب أسيرة للتهجّر والاغتراب والعيش تحت الأنقاض لهثاً وراء سراب من الحطام!

إنّه «الإسلام الأمريكي» الذي يجعلك تقتل نفسك بنفسك، وتمكّن عدوك من احتزاز رقبتك، وتسفك دمك بثروات بلدك!

وهكذا بدأ المسلسل الإجرامي لـ«الاستكبار العالمي»: حيث أولدوا هذا اللقيط السلفي والمنهج التكفيري والإسلام الأمريكي، فرسموا كل معالمه وأكملوا جميع أحابيله ومخططاته، ثم زرعوه في وسط العالم

الإسلامي، وسمّوه بمختلف التسميات، وها هم اليوم بجنون ثمار تلك الشجرة الخبيثة؛ فما من بلد إسلامي إلا وهذه الجرثومة تمرض ساكنيها وتذيقهم مرّ مآسيها!

وهكذا أراد «الاستكبار العالمي» أن لا تهنأ هذه الدول الإسلامية بأمن ولا أمان، فكان أفضل عونٍ لهم لتحقيق شيطنتهم: هم هؤلاء الخوارج .. عبدة الشيطان!

داعش وخيوط المؤامرة!

إنّ «الاستكبار العالمي» هو الذي صنع هذا الوجود اللقيط، وهو الذي انتخب مناهج عمله، واختار رجالاته، وخطّط لأفعاله!

وعليه: فمن المنطقي أن لا تحيد داعش عن تنفيذ ما يُملى عليها، ولا تحجم عن فعل ما يُطلب منها، خصوصاً في الخطوط العريضة والأهداف المحورية، الذي لا يضر - بعد أدائها - من تجاوز يحصل هنا أو زيغ يحصل هناك، والاستكبار العالمي - وعلى رأسهم أمريكا - هم من يحدد الوقت المناسب والمكان اللازم لعمل القاعدة وداعش، فلا إرادة حرّة ولا استقلالية - لا في المنطلقات ولا في المسير ولا في الأهداف - لمثل هؤلاء الخوارج؛ بل هم تبع لهم وطوع لأمرهم!

وإن أراد الاستكبار العالمي أن يصوّر للعالم: أنه لا علاقة له بهم، بل أنّه يقوم بمحاربتهم، ويسعى للقضاء عليهم، كما يرفعون مثل هذه الشعارات اليوم؛ حيث أحرقوا البلدان بحجة القضاء على الإرهاب!

فحتى يحقق الاستكبار أهدافه ويصل إلى منالـه: لا بُدّ له أن يتبرأ

من هؤلاء الخوارج، بل ويعمل على محاربتهم ظاهراً، ولكن بنحوٍ يقوّي وجودهم ويزيد من انتشارهم!

داعش واستنزاف الأمة!

و«الاستكبار العالمي» يحارب على أكثر من جبهة، ويسعى لتحقيق أكثر من هدف: فأعلى أهدافه هو أن يسيطر على كل مقدرات الشعوب، وأن تكون كل الأمم خادمة لمصالحه ومطيعة لأمره!

وهناك أهداف أقل رتبة من ذاك، وهي تسير في نفس مساره، وتحطّ برحلها في الختام عنده؛ كإيجاد الاضطراب والحروب في البلدان والأوطان: فمع الحروب لا عمار ولا تنمية ولا بناء، ولا استثمار للعقول ولا تقدم ولا تفكير بتسلق القمم والجبال!

وبإيجاد الحروب بين الدول، وتفرقها واشتغالها ببعضها البعض، يتمكن الأعداء من السيادة والزعامة، كما قالوا: «فرّق تسُد»!

فـ«الاستكبار العالمي» لمّا وجد شدة بأس هذه الأمّة، بعد أن استيقظت من رقدتها وأفاقت من غفلتها، وبثت فيها روح الإباء ببركة «روح الله».

وبعد أن خاض الاستكبار بنفسه بعض الحروب، ومُني بالفشل والهزيمة النكراء؛ كما حصل ذلك في أفغانستان والعراق، وبعد النصر المؤزر لأبناء «روح الله» في حرب تموز في جنوب لبنان! فإنّه لم يجد بداً ولا حيلة من توجيه «الخوارج» للقضاء على الإسلام!

وهذه المرة انتهج خطة «الاستنزاف»: حيث يُشغل العالم الإسلامي بحروب طاحنة داخلية: بتمويل سعودي خليجي، وتخطيط أمريكي صهيوني على كل دول الإسلام، فتضعف كل الأطراف الإسلامية المتقاتلة - من كان على حق أو باطل - وتكون السيادة بعدها لأعداء الإسلام! والعدو ينظر ويتفرج: فلا المال ماله ولا الوطن وطنه ولا الشعب شعبه! فليحترق الجميع!!

والاستكبار ينتظر الفرصة للانقضاض!

وبعد كل هذه الحروب الطاحنة، والدماء القانية، والذهاب بمقدرات الأمة في حروب عابثة خائنة، وبعد إنهاك رجالها، وذبح نسائها وأطفالها، وبعد كل هذه الاستنزافات والجراحات للأمة الإسلامية الواحدة، يأتي العدو لينقضّ على فريسته المنهكة، فيوثقها ويقضي عليها!

والعدو هذه المرة لن يأتي باسم الاحتلال أو الانتداب، بل سيأتي باسم إحلال السلام ونزع فتيل النزاع وغيرها من المسميات!

وفي نهاية المطاف وبعد كل هذا النزف في كيان الأمة الإسلاميّة، فإنّه سيضّطر «أهل الحق» أن لا يقاوموا ويتريثوا قليلاً، حتى تضمد الجراح وتوقف نزف الدماء، مع أنّهم يرون كيف أن العدو يبسط نفوذه وسيادته على مقدرات الأمة! ولكن لا حول لهم ولا قوة بعد ان استُنزفوا بحرب العملاء وخوارج هذا الزمان!

لا خيار مع داعش إلا الحرب!

فداعش خوارج هذا الزمان، وعملاء الأمريكان، وألعوبة الصهاينة الجبناء، لا يمكن للأمة الإسلامية أن تقبلهم وتعلن الصلح معهم؛ فهو وجود فاسد مُفسد، وضال مُضل، وغُدّة سرطانية لا بُدّ من اجتثاثها والتخلّص منها!

فهذا الوجود اللقيط ما أُنشئ وما رُبّي وما جيء به وزرع في العالم الإسلامي إلا من أجل تمزيقه وتدميره، ومن ثم السيطرة عليه من قبل أسياده!

فالحرب لا غير، وتطهير العباد والبلاد من أرجاسهم بأن يذاقوا سوء العذاب، وإزالة هذا الفكر الذي شوّه الإسلام وعاث في الأرض الفساد!

والحرب معهم وإن كانت شرسة ضارية، إلا أنّه لا خيار للأمة الإسلامية إلا ذاك! فالأمة الإسلامية: إمّا أن تقبل بهم، وهذا يعني قبولها للأسر والعبودية لهم وتسليم العباد والبلاد لأسيادهم! وإمّا أن ترفضهم وترفع راية الحرب ضدهم، وتؤثر مصارع الكرام على طاعة اللئام، وهذا هو خيار الكرماء!

من الإمام علي عليه السلام إلى القائد علي!!

وما أشبه اليوم بالبارحة، وآخر الدنيا لاحقٌ بأولها، وبعضها يشبه بعضاً!

فبالأمس لم يجد أعداء الإسلام - وعلى رأسهم حامل راية الكفر

والنفاق معاوية ومستشاره ابن العاص - طريقاً لتقويض حكومة الإمام علي عليه السلام وزلزلة دولته وزعزعة خلافته خصوصاً بعد ما فشلوا في حرب صفين، إلا تحريك هذا العدو الخبيث «الخوارج»!

فقد كاد الأمير عليه السلام أن ينتصر في معركة صفين، ويقضي على الكافرين القاسطين، فما كان بين مالك الأشتر والقضاء على رأس المنافقين معاوية إلا فواق ناقة، لو أمهلوه قليلاً!

نعم؛ ما أمهلوه حيث حرّكوا العدو الداخلي وراهنوا على هذه الورقة لمثل هذه الورطة! فكان رفع المصاحف، وكان ابن النابغة يعلم بأن كيده سيفلح وخداعه سينجح؛ لأنّ سمّه الزعاف سينخر في جيش الإمام عليه السلام سواء أجمع الناس أم وقع بينهم الخلاف!

وهذا ما حصل، فمع أن «الخوارج» لا يمثّلون الأكثرية، إلا أن الظرف الخانق ووجود العدو الظاهر ووجود مثل هؤلاء البسطاء القشريين، مضافاً للمنافقين الذين باعوا الذمم، وغيرها الكثر الكثير!

فإن كلمة «الخوارج» صارت هي الماضية، وبالدّقة: فإن مَن وضع الخطة وحرّك الخوارج ودبر لحيلة رفع المصاحف هو المطاعة كلمته والنافذة أرادته!

وهل انتهت فتنة الخوارج بعد حيلة رفع المصاحف؟

كلا؛ بل ما كانت خدعة المصاحف إلا الشرارة لبدء حراك الخوارج، فمنها بدؤوا، وهم سائرون إلى حربٍ دامية ضد الإمام عليه السلام في معركة النهروان، ولم تقف حتى فضخت هامة الإسلام في محراب الصلاة!

ففتنة الخوارج استنزفت دولة الإمام عليه السلام قبل أن يحاربوه وبعد ما حاربوه، فقد كانوا نعم العون لأعداء الإسلام على دولة الإسلام باسم الإسلام!!

والقصّة بنفسها تعاد حكايتها اليوم: فبالأمس الإمام عليه السلام واليوم القائد علي.

وبالأمس معاوية واليوم أمريكا، وبالأمس الخوارج واليوم القاعدة وداعش!

فبعد أن انهزم الأمريكان، ورأوا شدة بأس أهل الإسلام: فمن النصر المؤزر لحرب تموز ٢٠٠٦ إلى الهزيمة النكراء لهم في العراق عام ٢٠١٣، وغيرها من البطولات التي سطّرها عصائب أهل الحق وحزب الله وأنصار الله، والشبح المخيف للقائد الحاج قاسم سليماني، فإنّ الأمريكان لم يجدوا من يعينهم على حرب الإسلام والقضاء عليه غير القاعدة وداعش .. خوارج هذا الزمان!

إنّها نفس الحكاية، والتاريخ يعيد نفسه، وإن اختلفت رجالاته؛ فالذي يقف اليوم سدّاً منيعاً ضد أطماع «الاستكبار العالمي» هو حلف الممانعة الذي تقوده الجمهورية المباركة!

والأعداء يدركون بأنّهم لن يقدروا اليوم على هزيمة القائد علي إلا كما قدر سلفهم الطالح على فضخ هامة الإمام علي عليه السلام، وأنّى لهم إدراك ذلك!!

إنّها القاعدة وداعش، خوارج هذا الزمان! فبنفس الحرب وبنفس

المنهج والأسلوب يسير الخلف لتبع السلف!

نعم؛ إنّها نفس القصة والحكاية، يعيدها الاستكبار العالمي مرة ثانية: فالتاريخ يحكي أنّه ما إن قام الإمام علي عليه السلام وأنشأ دولته الفتيّة - هذه الدولة التي بثت الأمل مرة ثانية إلى الأمة الإسلامية؛ بعد الضياع الذي حلّ عليها ٢٥ عاماً - حتى تحرّك الأعداء وانقضّوا عليه من كل جانب يحاربونه صبحاً وعشياً، فمن الناكثين وحرب الجمل، وإلى صفين ضد الحزب الأموي المنافق، وانتهاءً بحرب النهروان مع الخوارج!

نعم؛ لم يتركوا علياً عليه السلام وشأنه بل شغلوه بالحروب الدامية والغارات الخائنة والفتن المظلمة!

هكذا خطط الاستكبار الأموي، وهكذا دبّر من أجل تفريق الأمة عن الإمام علي عليه السلام!

وبمثل هذه المكائد وصلوا، حتى خضبوا شيبته بدم رأسه! وبمثل هذه الأحداث تجري وقائع الأيام في مثل هذا الزمان؛ فما إن قامت دولة القائد علي، هذه الدولة الإيمانية التي بثت الأمل في كل الشعوب المستضعفة والمحرومة، بعد ضياع لحق بالأمة دام عدّة قرون حتى حرّك الاستكبار العالمي كل جنوده، ولعب بكل أوراقه من أجل أن يقضي على دولته وتخلو الساحة له!

فالاستكبار العالمي هو وراء تحريك الحروب الداخلية التي كانت تدعو للانفصال وقيام دولة عربية وأخرى كردية و...!

والاستكبار العالمي هو الذي أمر صدام العفلقي وحزبه الكافر أن

يشن الحرب على دولة الإسلام، هذه الحرب التي استمرت ٨ أعوام، وسفك فيها شلال الدماء!

والاستكبار العالمي هو الذي يحرك القاعدة وداعش - خوارج هذا الزمان - اليوم ضد الإسلام والمسلمين، ومن أجل القضاء على الدولة الإسلامية المباركة، والذي بزوالها ستذهب شوكة المسلمين، بل سيزول الدين الأصيل ويحل محله دين الكافرين!

والاستكبار العالمي سيأتي بعد كل هذه الجراحات التي حلّت بالأمة، وبعد نزف الدماء ودمار الأوطان، وتشرد النساء والرضعان، سيأتي بعد كل هذه الحروب التي ما أبقت حجراً على حجر ودمرت كل مدر، سيأتي وسينقضّ على دول الإسلام ويلتهمها أيما التهام!

هكذا يأملون، كما حصل في زمان الإمام علي عليه السلام؛ حيث جاء معاوية - رأس الاستكبار الأموي - واستولى على الأمة الإسلامية بعد أن استنزف دولة الإمام الفتية!

فلا خيار لأمّة الإسلام إلا بأن تثبت وتصمد في سوح النزال، وعليها أن تبصر الأعداء، وتكشف المؤامرات، وتُحسن الاصطفاف، فلا تنخدع بالأسماء والمسميات: كخادم الحرمين وتنظيم دولة الإسلام و...، وتُرسل ببصرها إلى ما وراء هؤلاء الأقزام؛ لتعرف من يحرك الحروب في الخفاء! ولتدرك أنّهم قد اجتمعوا اليوم كما اجتمعوا بالأمس ضد الإمام علي عليه السلام؛ فقد تحالف اليهود والنصارى والكفار والمنافقون عليه!

وهكذا اليوم: فإنّ الكفّار واليهود الصهاينة ومعهم رأس النفاق

الدعية السعودية، قد وقفوا ضد الإسلام، ووجهوا سهامهم وحرابهم ضد قائد الإسلام؛ رافع راية المستضعفين، الممهّد لدولة خاتم الأئمة الميامين عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

وإذا بالأمس قد خُذل الإمام عليه السلام، فلا ينبغي اليوم أن يُخذل القائد علي؛ فإنه عزّ الأمّة اليوم، وحاضرها ومستقبلها، متوقف على مدى إظهار النّصرة والولاء وتقديم التضحية والفداء لمثل هذه الراية التي ارتفعت فرفعت أبناء الإسلام!

فإن سقطت أو ضعفت: فإنّ الأمّة الإسلامية سترجع مرة أخرى إلى ذلك الظلام، وستصبح شعوب الإسلام أذل الشعوب بين الأنام!

وهذا ما لا يقبله أبناء الإسلام الكرماء! فارفع الراية عالياً واجعلها خفاقة في السماء عالية .. وسِر يا ابن الأطايب الأنجبين، وسليل آل الرسول الميامين، وخذ بيعة منّي ومن أبناء شعبي، وعهداً إلى أبد الآبدين، أنّا لن نُسلمك ولن نخذلك ولو ذهبنا بأطفالنا ونسائنا قرابين!

تقدم .. فالنصر حليفك، والله معينك، والأمّة من خلفك!

تقدم .. ولا تضع هذه الراية إلا في يد صاحبها، يوم يقوم فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً .. ونحن نقول الحمدلله رب العالمين!

الشقشقة التاسعة:
القيام بالأمر والخلافة

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أَمَا والَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ ومَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ ولَا سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا ولَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا ولَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ»[1]

تمهيد

إنها أعذارٌ ثلاثة يذكرها أمير المؤمنين علي عليه السلام توضح سبب قبوله لهذا الأمر والقيام به - وإن طال تخلفه عنه بمثل هذه المدة المديدة - وهي: حضور الحاضرين لمبايعته وقيام الحجة عليه بوجود الناصر له في طلب الحق لو ترك القيام، وما أخذ الله على العلماء من العهد:

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٥٠

الخطبة (٣) ومن خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية وتشتمل على الشكوى من أمر الخلافة ثم ترجيح صبره عنها ثم مبايعة الناس له!

على إنكار المنكرات، وقمع الظالمين، ودفع الظلامات عند التمكن.[1]

ومن خلال سيرة الإمام علي عليه السلام ومواقفه الإيمانية والجهادية وإقامته للحكومة الإلهية العادلة؛ فإنّه أضفى إلى العمل السياسي والاجتماعي نورانية إلهية مميزة.

وحكومته الاستثنائية - التي جسّدت الإسلام من كل جنباته - بعثت الروح في أتباعه للقيام والثورة من أجل إقامة الحكومة الإسلامية بنفس نهجه، وبصبره وشدّة تحمله علّم الشعوب المؤمنة الحرة: أن لا تقبل بمسالمة الظلمة أو الركون إلى الطغاة الخونة .. «لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ وإِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الْإِبِلِ وإِنْ طَالَ السُّرَى»[2].

أولاً: حضور الحاضر والقيام بالأمر:

الخلافة المغصوبة!

زُويت الخلافة عن أمير المؤمنين عليه السلام خمسة وعشرين عاماً ظلماً وجوراً، وكان الألم يعتصر قلب الأمير ووجدانه وهو يراهم يغتصبون حقّه الإلهي ويستولون على منصبه الرباني! وأسفُ الأمير عليه السلام وتأوهه لا لأجل دنيا قد ذهبت منه، أو نعيم حالوا بينه وبينه؛ وذلك لأنّه كان ينظر إلى الخلافة بمنظار إلهي وأنّها تكليف سماوي، وأنّها أفضل وسيلة لهداية البشرية وإخراج الناس من الظلمات إلى النور!

١- شرح نهج البلاغة، البحراني، ج١: ص:١٦١-١٦٢

٢- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٤٧٢، الحكمة (٢٢)

حيث لا يقدر على مثل هذا الأمر إلا أهل البيت عليهم السلام، يقول الإمام علي عليه السلام: «بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ و[تَسَنَّمْتُمْ] تَسَنَّمْتُمْ[1] ذُرْوَةَ [الْعَلْيَاءَ] الْعَلْيَاءِ وبِنَا [انْفَجَرْتُمْ] أَفْجَرْتُمْ[2] عَنِ السِّرَارِ[3]»[4]

نعم؛ كان ألمه ووجعه لأن الطّغاة سلبوه رداءً ألبسه الله تعالى إياه من أجل أن يهدي الناس ويعلمهم معالم الطريق، ويستنقذهم من ربق أسر الشهوات، ويسعدهم في هذه الحياة وما بعد الممات!

ولكن جهل الأمّة وعنادها وحقدها وطمعها في الدنيا، حال دون قيامة بالأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة! فضلّت الأمة الطريق ولم تهتدِ إلى سواء السبيل!

ولكن الناس أنفسهم يظلمون!

وهكذا عاشت الأمة خمسة وعشرين عاماً بعد الرسول صلى الله عليه وآله تتخبط في العشوات، وتنزلق في الهلكات، وتبتعد عن فاضل الكمالات، وترتمي في خسيس الخصال! ولو استلم الإمام علي عليه السلام الرّاية والخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله مباشرة، لكان وضع الإسلام والمسلمين شيئاً آخر! ولما

١- أي ركبتم سنامها، وارتقيتم إلى أعلاها

٢- أَفْجَرْتُمْ: دخلتم في الفجر

٣- السِّرار، ككتاب: آخر ليلة في الشهر يختفي فيها القمر، وهو كناية عن الظلام

٤- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٥١
الخطبة (٤) ومن خطبة له عليه السلام وهي من أفصح كلامه عليه السلام وفيها يعظ الناس ويهديهم من ضلالتهم

رجعت الأمة القهقري، ولما انحدرت إلى الجاهلية الأولى، ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون!

يقول الإمام علي عليه السلام: «فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ ولَا ذَابٌّ ولَا مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ[1] بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى[2] وجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا[3] وصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ وآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ»[4]

إنّه ألمٌ يعتصر الهداة، ويأخذ بالنفس حسرات: عندما لا يتمكنون من أخذ يد الناس والسير بقوافل البشرية إلى بر الأمان، بسبب قُطّاع الطريق الذين ملؤوا السبل بالأشواك، وبسبب جهل الناس الذي أعماهم عن تمييز أهل الفساد، فساروا خلف أهل البدع والضلال، وهجروا أهل التقوى والصلاح! فكتبوا على أنفسهم الشقاء في الدنيا وبعد الممات!

الدنيا في عين الإمام علي عليه السلام!

ما كان الأمير عليه السلام يطلب دنيا أو يأسف على حطامها؛ فما قيمة الدنيا عنده وهو الذي طلقها ثلاثاً لا رجعة فيها! وهو الذي أبغضها وحطامها حتى أبغضته وقتلته! وأهانها وحقّرها حتى كادت له فشردت

١- ضننت: أي بخلت

٢- القذى: ما يقع في العين، وأغضيت على القذي: غضضت الطرف عنه

٣- الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه، يريد به غصة الحزن

٤- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٣٣٦
الخطبة (٢١٧) ومن كلام له عليه السلام في التظلم والتشكي من قريش

بنيه وأهله انتقاماً منه ونكاية به!

فما دخلت في حريم قلبه يوماً، ولا طاقت بفؤاده نزراً، وما سعى لها أبداً، فهو الذي كان يقول: «وَ قَدْ أَرْخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ وهُوَ قَائِمٌ فِي مِحْرَابِهِ قَابِضٌ عَلَى لِحْيَتِهِ يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَّلِيمِ ويَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ و[هُوَ] يَقُولُ: يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا إِلَيْكِ عَنِّي أَ بِي تَعَرَّضْتِ أَمْ إِلَيَّ [تَشَوَّفْتِ] تَشَوَّقْتِ لَا حَانَ حِينُكِ، هَيْهَاتَ غُرِّي غَيْرِي لَا حَاجَةَ لِي فِيكِ قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثاً لَا رَجْعَةَ فِيهَا فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ وخَطَرُكِ يَسِيرٌ وأَمَلُكِ حَقِيرٌ آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ وطُولِ الطَّرِيقِ وبُعْدِ السَّفَرِ وعَظِيمِ الْمَوْرِدِ»[1]

فإن أُريد من منصب الخلافة طلب الدنيا واللهث وراء حطامها - كما ينظر إليها أبناؤها - فهو زاهدٌ في مثل هذه الخلافة، ولن يدنس طهره بمثل هكذا أدران، وهو على أتم الاستعداد لإكمال حياته بعيداً عن السلطة ما دامت الأمة لا تريده!

وما دامت الخلافة لا تصلح إلا لمن أعشت الدنيا عينه، وأغلق حطامها عقله «أَتَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكَ وتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ ويَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ، قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ والسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّة»[2].

أمّا إذا كان التكليف الإلهي يُملي عليه بأن يقوم بأعباء الخلافة والتي تعتبر أفضل وسيلة للهداية وإنقاذ الناس من الغواية، فإنّ الإمام عليه السلام لن

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٤٨٠، الحكمة [٧٦]

٢- المصدر نفسه، ص:٤٢٠

الكتاب (٤٥) ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري

يتردد في القيام بالأمر الإلهي!

القيام بالواجب الإلهي!

نعم؛ إنّه الواجب الإلهي الذي يُحتّم على الأمير عليه السلام أن ينهض بالأمر، ويقود القافلة ويدير منصبه الإلهي الذي سلبوه منه في سالف الأزمان، يقوم بأمر الخلافة، فيوقف ظلم الطّغاة السافر، ويرفع المظلومية عن كاهل الشعب العاجر، وينشر العدل بعد أن ساد اللئام، فأظلموا الأفق على الأنام!

وجاءت دولة الحق ورفعت راية الهدى؛ حيث لا ظلم على العباد، ولا غصب لشيء من الحطام، كيف والقائد هو الإمام الذي يدور الحق معه حيث ما دار!

«وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ وإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا مَا لِعَلِيٍّ ولِنَعِيمٍ يَفْنَى ولَذَّةٍ لَا تَبْقَى نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ وقُبْحِ الزَّلَلِ وبِهِ نَسْتَعِين»[1]

الإمام الخميني والحكومة العلوية!

إنّ إقامة الحكومة الإسلامية هو الطريق لنهضة الشعوب، وانتشالها من أسفل السافلين - بفعل الفاسدين - إلى أعلى عليين.

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٣٤٧
الخطبة (٢٢٤) ومن كلام له عليه السلام يتبرأ من الظلم

وأي حلول ترقيعية مع إمساك الطغاة بمقدرات البشرية، فإنّ العناء هو حليف الأوطان والشقاء خاتمة المطاف.

ومن الحريّ التأمّل في التجربة الإلهية التي قام بها مفجر الثورة الإسلامية، والسعي الحثيث للعمل واغتنام الفرصة قبل أن تكون غصّة.

والإمام الراحل رحمه الله ومن أجل القيام وتشكيل الحكومة قام بما يلي:

أولاً: ركّز الأسس الكلامية «العقائدية» لهذه المسألة.

ثانياً: بنى عليه الأساس الفقهي.

ثالثاً: قسّم شرائط الولاية والقيادة إلى شرائط حصولية وشرائط تحصيلية.

رابعاً: هيأ الشرائط التحصيلية للولاية بتحمل السجن والنفي والتهمة والافتراء.

خامساً: جعل الرابطة بين المرجع والناس رابطة الإمام والأمّة.

سادساً: جعل الفقيه إماماً نائباً عن الإمام المعصوم عليه السلام.

سابعاً: عرّف الإمامة بأنها الثقل الأصغر.

ثامناً: قد ضحّى بالثقل الأصغر فداءً للثقل الأكبر.

وقال بعد حادثة الفيضية: يجب علينا مواصلة هذا الطريق ولو بلغ ما بلغ وليكن ما يكون، لأنّ قيامه وثورته كانت على أساس الفقه والفكر «على شيء»! واستمر على هذه المقولة إلى آخر لحظة، واستطاع أن ينتشل المجتمع من أسفل السافلين ويوصله إلى أعلى عليين! وطبعاً

كانت هذه الثورة معجزة للقرآن والعترة[1].

العمل في الحكومة الإسلامية!

لا بُدّ من حضور الناس في الميادين السياسية ومشاركتها في إدارة الدولة الإسلامية، وهذا يتوقف - في مرحلة سابقة - على الإعداد لتحمل مثل هذه الواجبات: فمن جهة لابد من الالتزام الديني، ومَن لا يجد في نفسه الفعلية على «الإدارة» فعليه أن يسعى لإحياء ما فيه من القابلية حتى يتم التمكن من إدارة كل شخص لزاوية من زوايا الدولة الدينية، ويؤدي كل شخص دوره في المجتمع الإسلامي!

وإلا فأنّ المجتمع يفقد المناعة اللازمة حتى لو كان القائد مثل الإمام علي عليه السلام[2]! ومَن يجد في نفسه القابلية والاستعداد على الإدارة في الحكومة الإسلامية، ومع ذلك يعتزل الساحة السياسية والاجتماعية، تصوراً منه بأن ذلك فضيلة!

فإن النتيجة الحتمية لذلك: هو استيلاء الظلم المنظم، ووصول النوبة إلى أمثال «زياد ابن أبيه» ليكون عضداً في إدارة الدولة!

ودين الله وحفظه والإبقاء عليه، لا يُسلّم بيد أي شخص؛ فعندما يكون الدين في خطر، وعندما لا تقومون بصد أعداء الدين ولا تبرزون لمواجهتهم، فإنّه سوف يتوجه إلى حفظ «دين الله» رجالٌ لا يعرفون الخوف ويتوجهون إلى الخطوط الأمامية للقتال، وبمهام يحفظ الدين في

١- الحماسة والعرفان، ص: ٢٩٧ بتصرف

٢- المصدر نفسه، ص٢٨١

الجبهات، جبهات القتال وجبهات الفكر والثقافة وجبهات إقامة الدولة.[1]

العمل في السياسة والحكومة ليس من الدنيا المذمومة!

إنّ السماء والأرض، والماء والتراب، والسهل والجبال والصحراء، كلها مخلوقات الله تعالى، وهي آياتٌ إلهية ومخلوقات شريفة، وهي ليست من «الدنيا المذمومة»!

وإنّما الدنيا المذمومة: هي المناصب الاعتبارية والأوهام والوساوس القبيحة، كالوهم بأنّ المال مالي، وأني أفضل من الشخص الفلاني، وأنّ لي المنزلة الفلانية بين أقراني![2]

وبناءً على ذلك: فإنّ العمل في السياسة وإدارة الدولة، إذا كان من باب أداء التكليف الإلهي والفرض الربّاني، فهو لا يُعتبر من الدنيا المذمومة؛ بل هو ليس من الدنيا أصلاً؛ بل هو من عمل الآخرة فكما أن الصلاة والصيام وغيرها من العبادات الفردية يكون الإتيان بها من مقتضيات العبودية لله تعالى، كذلك الحال في العبادات الاجتماعية والسياسية وما يرتبط بالشأن العام، فإنّ القيام بمثل هذه الأمور مما يتناسب مع مقتضى العبودية لله تعالى!

وعلى كل حال؛ فسواء كانت العبادة فردية أم اجتماعية سياسية، وكان الوجه هو الله تعالى وكانت النّية خالصة، فليست هي من الدنيا المذمومة بل هي من أعمال الآخرة!

١- الحماسة والعرفان، ص٢٨٨

٢- المصدر نفسه، ص:٢٧٠-٢٧١

نعم؛ لا بُدّ من الحذر وأخذ كمال الحيطة من الشيطان ووساوسه؛ فهو يسعى للحصول على نقطة ضعفٍ فينا؛ حيث يتسلل من خلالها وينفذُ إلى باطننا، ويقوم بتحريك ما هو كامن في داخلنا، حتى يوقعنا في فخاخه ويردينا في مستنقع آثامه!

والعمل في السياسة مجالها واسع جداً، والثغرات التي يمكن للشيطان أن ينفذ منها أكثر بكثير من مجال العبادات الفردية!

فالمال والجاه والمنصب والشهرة و...، كل واحدة منها سبب مستقل لهلاك الإنسان، ومعبرٌ واسع لنفوذ الشيطان، والإنسان في العمل السياسي سوف يُبتلى بمثل هذه الابتلاءات، فإن لم يحتط ويراقب نفسه، تقحّم في المهلكات!

والذي يقع في فخ الدنيا، فإنّه ليس من السهل عليه أن يفلت منها؛ لأنّ الدنيا لن تتركه حتى تذهب بكرامته ومنزلته بين الناس، وتجعله حطاماً شبيه بالقمامة!

وإذا أصبح الإنسان بـ«لا حيثية» ولا شرف، فإنه لن يستطيع عمل أي شيء، وهذا هو جلّ عمل الشيطان: وهو سلب الحيثية عن الإنسان![1]

الدنيا منتنة موبوءة!

والدنيا؛ ليست بأكثر من مرتعٍ موبوء «مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ[2]

١- الحماسة والعرفان، ص:٢٧٠-٢٧٢

٢- «مُوبِيء»: أي ذو وباء مهلك

فَتَجَنَّبُوا مَرْعَاهُ».[1]

واقترابنا منها يمنعنا من إدراك قبحها؛ لأنّ حاسة الشّم عندنا ستكون حينئذٍ معطّلة!

لكن؛ لو تجنبناها قليلاً: لرأينا قبحها وأدركنا كم هي منتنة، يقول الإمام علي عليه السلام: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُبَصِّرْكَ اللهُ عَوْرَاتِهَا»[2].

ثانياً: قيام الحجة بوجود الناصر

حاكمٌ على الناس من قبل السماء!

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو خليفة الله تعالى في أرضه، وهذا المنصب الإلهي الرباني مجعولٌ له من قبل السماء! فمنصب الحاكمية والخلافة ليس من المناصب الأرضية حتى يكون للناس الحق في أن يهبوه تارة ويسلبوه منه تارة أخرى، فمبايعة الناس له أو مبايعتهم لغيره لا يؤثر في كونه هو الخليفة الشرعي وغيره ليس بشرعي؛ وذلك لأنّ الحاكمية لله تعالى أولاً وبالذات، فهو حق خاص به بمقتضى أدلة التوحيد في الربوبية التشريعية، وهذا الحق قد يجعله الله سبحانه لمن يشاء، وقد جعله للأنبياء والأوصياء عليهم السلام، ومن ثم فهو مجعول للفقهاء!

إذًا؛ فالحاكمية هي ثابتة أولاً وبالذات لله تعالى، ولمن أذن لهم ثانياً

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٥٣٩، الحكمة (٣٧٣)

٢- المصدر نفسه، ص:٥٤٥، الحكمة (٣٩٧)

لاحظ كتاب: الحماسة والعرفان، ص:٢٧٥

ويكون بالتبع. وأيّ حاكم لا يكون مأذوناً من قبل السماء فهو حاكم ظالم غاصب، وحكمه طاغوتي!

وأمير المؤمنين عليه السلام هو المأذون من قبل السماء على أن يكون خليفة على الناس، فهو الخليفة الشرعي والحاكم الحق، وغيره طاغوت!

دور الأمة والشعب إضفاء القدرة والفعلية لا الشرعية!

بعد اتضاح أنّ الأمة لا تُضفي «الشرعية»، فإنّه يأتي التساؤل عن دور الأمّة في الحكومة والعمل السياسي، فهل للأمة دور أو لا؟

والجواب: أنّ للأمة دوراً حسّاساً وخطيراً في مجريات الأحداث السياسية؛ حيث إنّ الأمة هي التي تضفي القدرة والتحقق الخارجي لطبيعة الحكومة، والقبول وعدم القبول بالحاكم، فعندما لم تأتِ الأمة ولم تبايع الإمام علي عليه السلام بعد رحيل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله مباشرة، فإنّ الإمام هو الحاكم الشرعي، ومبايعة الناس وعدمها لا تؤثر في شرعية حاكميته، إلا أنّ فعليه حاكميته وتحققها على الصعيد الخارجي لم تحصل إلا بعد أن جاءته الأمة - وبعد خمسة وعشرين عاماً - وبايعته وأعلنت الموالاة له!

فبعد خمسة وعشرين عاماً اجتمعت «الشرعية» مع «الفعلية» للإمام علي عليه السلام، فهو قبل هذه المدّة كان يملك «الشرعية» إلا أنّه لم يتمكن من بسط حاكميته على الناس، حيث إنّ الناس لم يأتوا له، والله سبحانه لا يُكرِه العباد على الطاعة وانتهاج الطريق الحق والصراط المستقيم!

انتظر الأمير عليه السلام حتى تفيق الأمة من سباتها!

والأمّة، وخلال خمسة وعشرين عاماً، حرمت نفسها من بركات حكومة أمير المؤمنين علي عليه السلام؛ حيث ذهبت وبايعت غيره، وسارت في ركاب من هم أدنى منهم: فعاشوا تلك الطخية العمياء التي هرم فيها الكبير، وشاب منها الصغير، ومُني الناس بخيطٍ وشماس وتلون واعتراض!

وبُليت الأمة - وبسوء اختيارها - بمن يأكل متاعها ومقدراتها، ويبليها بالفقر والحرمان المادّي والمعنوي!

وهكذا تُحرم الأمة من بركات وفيض الأرض والسماء، إن انتهجت نهجاً خاطئاً، وحالت دون تحقيق إرادة الله! وما كان من خيار أمام امير المؤمنين عليه السلام إلا أن يصبر على طول المدّة وشدّة المحنة، حتى تفيق الأمّة من سباتها، وترجع إلى رُشدها، وتملك زمام إرادتها، وتُرجِع الحق لأهله، وتكون مستعدّة للنصرة، والوقوف في وجه الظلمة!

وجود الناصر يحقق شرط القيام!

وهكذا؛ وبعد خمسة وعشرين عاماً: أفاقت الأمّة من رقادها الذي أنهك الأمة الكثير الكثير، وثابت إلى رشدها بعد أن عبث في مقدراتها المفسدون!

فجاؤوا للإمام علي عليه السلام عارضين عليه البيعة والفداء والنصرة والتسليم لأمره «وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ وَسَقَطَ الرِّدَاءُ ووُطِئَ الضَّعِيفُ وبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ

أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ وهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ وتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ وحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَـاب»[1]

وعندها قامت الحجة على الأمير عليه السلام ووجب عليه أن ينهض بأعباء الخلافة؛ حيث تحقق شرط القيام وأُنجز ما على الناس من إبداء الطاعة للإمام، وبقي على الإمام عليه السلام أن ينهض بهذا الثقل الذي أعطاه إياه رب الأنام: فيرفع الظلم عن المظلومين ويوقف ظلم الظالمين ويقيد الحق لأهله، ويقيم حكم الإسلام ويشيّده.

الفقيه حاكم على الناس من قبل السماء!

وفي هذا الزمان، زمن الغيبة الكبرى، فإنّ منصب الحاكمية قد جعلته السماء للفقيه الجامع للشرائط، فهو الحاكم الشرعي المأذون من قبل الله تعالى.

وهذا المنصب الإلهي - وكما تقدم - ليس للناس فيه الخيرة، ولا لهم دور في إعطاء الشرعية أو سلبها عن الفقيه، فهو ليس بحق مجعول من قبل الناس، يعطوه للفقيه متى شاؤوا، ويسلبوه منه متى ضاعوا وتاهوا. فالفقيه حاكم شرعي، قبله النّاس أو لا، أبدوا له الطاعة والانصياع أو لا.

نعم، إذا لم تقبل الأمّة بالفقيه، ولم تُبدِ له الطاعة والانقياد، فإنّ الفقيه سيبقى في المجتمع منزوياً بعيداً عن الحكم، كما عاش الإمام علي عليه السلام خمسة وعشرين عاماً كذلك!

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٣٥٠
الخطبة (٢٢٩) ومن كلام له ع في وصف بيعته بالخلافة

أمّا إذا قدّمت الأمّة البيعة للفقيه، فإنّه سينهض بالأمر الذي أعطاه إياه رب العالمين.

وعلى كل حال؛ فليس للأمة إلا دور النّصرة والقوّة وتفعيل المنصب في الخارج، وليس لها دور في إضفاء الشرعية لحاكمية الفقيه.

ثالثاً: العلماء .. للظالم خصماً وللمظلوم عوناً

العلماء ومقارعة الطغاة!

من الواجبات الإلهية الملقاة على عاتق العلماء الربّانيين - ومع القدرة والاستطاعة - أن لا يُقارّوا على ظلم الطغاة وتمادي المفسدين وجور البغاة.

فإذا تمادى الظالم في ظلمه، وانتهك الحُرمات، وجرّع الأمّة، فعلى العلماء أن يُظهروا علمهم، ويقفوا بحزمهم، ويستنقذوا الأمّة والنّاس من براثن جورهم، ويحولوا دون بغيهم وغيهم.

فالعلماء هم آباء النّاس الروحانيين، وهم ملجأ المحرومين وأمل المستضعفين، والعلماءُ هم أول من يُناط إليهم: إصلاح المعوجّ، ورفع الثقل والوزر والإثم.

وكيف يصبر العلماء على شدّة ظلم الطغاة والإمام علي عليه السلام يقول: «وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ ولَا سَغَبِ مَظْلُومٍ»[1].

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٥٠
الخطبة (٣) ومن خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية

إنّها الثورة والقيام ومقارعة الأصنام!

لن يهنأ للعلماء عيش!

وكيف يهنأ للعلماء عيشٌ، وهناك من يتضور من الجوع والعطش ويشقى حتى يحصل على لقمة يومه؟!\

وكيف يهنأ للعلماء عيشٌ، وهناك أمٌ ترمق طفلها الباكي طالباً منها الأمان أو لعبة مثل باقي الأطفال؟!

وكيف يهنأ للعلماء عيشٌ، وهناك أطفال حرموا من حضن آبائهم الذين غابوا في طوامير السجون؟! لا؛ لن يهنأ للعلماء عيشٌ، وهم يرون مثل هذه الظلامات والمظلمات، وانتهاك الحرمات، وتجويع الشعوب وإذاقتها مُرّ المنام!

ولو هنأ للعلماء عيش فماهم بعلماء، وليعدوا الجواب لله المالك الديان!

العلماء رحمةٌ للمستضعفين!

والعلماء؛ هم السابقون لامتثال وصية الإمام علي عليه السلام حيث يقول: «وَكونوا لِلظَّالِمِ خَصْماً ولِلْمَظْلُومِ عَوْنا»[1].

فالعلماء؛ هم أمل الشعوب، ومحط نظر القلوب، وبلسم جراحات

١- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٤٢١

وصية (٤٧) ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين ع لما ضربه ابن ملجم لعنه الله

الصدور، بهم يرتوي العطشان من شطآنهم، وينهل الظمآن من معين فيضهم!

عاشوا معاناة المساكين، وذاقوا مرارة حياة المعذبين، بل عُذّبوا وسجنوا كباقي الثائرين المناضلين! وتحسّسوا آهات الفقراء فكانوا المسكن لها، وسمعوا صرخات المحرومين فكانوا المهدّئ لها.

نعم؛ واسوا شعوبهم وحملوا همومهم، وحملوا آلامهم وآمالهم ..

وهكذا اقتربوا من الناس، فاقترب الناس منهم، فكانت المحبّة من الطرفين، والأُنس والودّ من الجانبين «هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ وبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ واسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ وأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ وصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ والدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ آهِ آهِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِم»[1]

والعلماء .. شوكة في عيون الطغاة!

وفي عين الوقت الذي يكون فيه العلماء رحمةٌ على المظلومين، فهم نقمة على الظالمين، وشوكة في عيون الفاسدين، وغصّة أمام أطماع الطامعين؛ فهم خصمٌ عنودٌ ومبارزٌ صبور، لا يعرف السلم أو المهادنة مع سالبي الشعوب وناهبي الحقوق اللاهثين وراء الدنيا الغرور!

فالعلماء، هم السدّ الصامد أمام طوفان أطماعهم، والحصن المنيع

١- المصدر نفسه، ص:٤٩٧، الحكمة (١٤٣)

لشعوبهم من أن يسلب حقوقهم وينهب ثرواتهم طغاة زمانهم.

وهكذا هم العلماء، «لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للهِّ بِحُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وبَيِّنَاتُهُ وكَمْ ذَا وأَيْنَ أُولَئِكَ أُولَئِكَ واللهِ الْأَقَلُّونَ عَدَداً والْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللهِ قَدْراً يَحْفَظُ اللهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وبَيِّنَاتِهِ حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ ويَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِم»[1].

الطغاة وعلماء البلاط!

وسحقاً ثم سحقاً، للعلماء الذين يقفون ضد شعوبهم، ويكونون عضداً للطغاة في جورهم، يلهثون وراء الجاه والمنصب، على حساب دمعة أمٍّ وبكاء طفلٍ وانكسار قلب أبٍ!

يعيشون في القصور ينادمون سفاكي الدماء ومصاصي ثروات الأوطان! يمرحون في قصور الظلمة وأبناء شعبهم يرزح شبابه خلف القضبان، تحت رحمة السجان وسياط الجلّاد، بعيداً عن الأمل والخلان.

وكما يصفهم الإمام علي عليه السلام: «مُسْتَعْمِلًا آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا ومُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ وبِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ أَوْ مُنْقَاداً لِحَمَلَةِ الْحَقِّ لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ أَلَا لَا ذَا ولَا ذَاكَ أَوْ مَنْهُوماً بِاللَّذَّةِ سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ أَوْ مُغْرَماً بِالْجَمْعِ والِادِّخَارِ لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهاً بِهِمَا الْأَنْعَامُ

١- المصدر نفسه

السَّائِمَةُ كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيه».[1]

وعلماء البلاط ووعّاظ السلاطين، لا يخلو منهم مكان ولا يفتقدهم الأزمان؛ فمع كل ظالم جائر عالم فاسق، ومع كل سّفاك واعظ كذّاب، ومع كل يزيد شريح!

فلابد من البحث عن أمثال هذه العينات الفاسدة الساقطة، ولا يصح المهادنة معها؛ بل اللازم كشف حقيقتها وتوضيح ضررها ومآسي فعالها، حتى لا تسقط في شراكها العقول البسيطة، وتغتّر بها عيون الناس الجاهلة، كما يفعل الشيطان بأوليائه «اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مِلَاكاً واتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً فَبَاضَ وفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ ودَبَّ ودَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ ونَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ وزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ[2] فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ ونَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِه»[3]

فالجبابرة وعلماء البلاط وجهان لعملة واحدة، عملة قتل الأمم ونهب مقدرات الشعوب «الرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاخِلِ فِيهِ مَعَهُمْ وعَلَى كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانِ: إِثْمُ الْعَمَلِ بِهِ، وإِثْمُ [الرِّضَا] الرِّضَى بِه»[4]

فالطغاة يفتكون وعلماء البلاط يبررون، والطغاة يفسدون وعلماء

١- المصدر نفسه

٢- الخَطَلُ: أقبح الخطأ

٣- المصدر نفسه، ص:٥٣، الخطبة (٧) ومن خطبة له عليه السلام يذم فيها أتباع الشيطان

٤- نهج البلاغة، صبحي صالح، ص:٤٩٩، الحكمة (١٤٨)

البلاط يغطون ويسترون، فهذا يفعل وذلك يرضى، بل ويدعوه للمزيد من خلال تغريره وتزيين أفعاله وتصويب جرائمه!

وقد كتب الإمام زين العابدين عليه السلام رسالة إلى أحد علماء البلاط - وهو الزهري عندما خالط السلاطين -«واعْلَمْ أَنَّ أَدْنَى مَا كَتَمْتَ وأَخَفَّ مَا احْتَمَلْتَ أَنْ آنَسْتَ وَحْشَةَ الظَّالِمِ وسَهَّلْتَ لَهُ طَرِيقَ الْغَيِّ بِدُنُوِّكَ مِنْهُ حِينَ دَنَوْتَ وإِجَابَتِكَ لَهُ حِينَ دُعِيتَ.

فَمَا أَخْوَفَنِي أَنْ تَكُونَ تَبُوءُ بِإِثْمِكَ غَداً مَعَ الْخَوَنَةِ وأَنْ تُسْأَلَ عَمَّا أَخَذْتَ بِإِعَانَتِكَ عَلَى ظُلْمِ الظَّلَمَةِ إِنَّكَ أَخَذْتَ مَا لَيْسَ لَكَ مِمَّنْ أَعْطَاكَ ودَنَوْتَ مِمَّنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَى أَحَدٍ حَقّاً ولَمْ تَرُدَّ بَاطِلًا حِينَ أَدْنَاكَ وأَحْبَبْتَ مَنْ حَادَّ اللهَ.

أَوَ لَيْسَ بِدُعَائِهِ إِيَّاكَ حِينَ دَعَاكَ جَعَلُوكَ قُطْباً أَدَارُوا بِكَ رَحَى مَظَالِمِهِمْ وجِسْراً يَعْبُرُونَ عَلَيْكَ إِلَى بَلَايَاهُمْ وسُلَّماً إِلَى ضَلَالَتِهِمْ دَاعِياً إِلَى غَيِّهِمْ سَالِكاً سَبِيلَهُمْ يُدْخِلُونَ بِكَ الشَّكَّ عَلَى الْعُلَمَاءِ ويَقْتَادُونَ بِكَ قُلُوبَ الْجُهَّالِ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَبْلُغْ أَخَصُّ وُزَرَائِهِمْ ولَا أَقْوَى أَعْوَانِهِمْ إِلَّا دُونَ مَا بَلَغْتَ مِنْ إِصْلَاحِ فَسَادِهِمْ»[1]

١- تحف العقول، ص:٢٧٥ - بحار الأنوار، ج:٧٥، ص:١٣٢

الخاتمة:
بحث حول النفاق في صدر الإسلام

تمهيد

«لقد اهتّم القرآن بأمر المنافقين اهتماماً بالغاً، وقد كرّ عليهم كرّاتٍ عنيفة، وذلك: بذكر مساوي أخلاقهم وأكاذيبهم وخداعهم ودسائسهم والفتن التي أقاموها على النبي ﷺ وعلى المسلمين. وقد تكرر ذكرهم في السور القرآنية: كسورة البقرة، وآل عمران، والنساء والمائدة، والأنفال والتوبة والعنكبوت والأحزاب والفتح والحديد والحشر والمنافقون والتحريم»[1].

تعريف النفاق

«النفاق: هو استظهار الإيمان واستبطان الكفر والتّستر عليه، فالمنافق هو الإنسان الذي يستبطن الكفر ويستره ويستظهر الإيمان، وهو مصطلح إسلامي لم تعرفه العرب قبل الإسلام بالمعنى المخصوص

١- تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج:١٩، ص:٢٨٧، بتصرف

بـه، وإن كان أصلـه فـي اللغـة معروفـاً»[1].

ففـي المفـردات: النفـاق هـو الدخـول فـي الشـرع مـن بـابٍ والخـروج عنـه مـن بـاب وعلـى ذلـك نبّـه بقولـه ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2]، أي الخارجـون مـن الشـرع.[3]

المنافقون والوعيد الإلهي

وقد أوعدهم الله في كلامه أشد الوعيد:

- ففي الدنيا بالطبع على قلوبهم، وجعل الغشاوة على سمعهم وأبصارهم، وإذهاب نورهم وتركهم في ظلماتٍ لا يبصرون!
- وفي الآخرة يجعلهم في الدرك الأسفل من النار.[4] يقول تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾[5].

المنافقون أشد أعداء الدين!

إنّ هـذا الوعيـد الربانـي والتهديـد السـماوي بحـق المنافقيـن سـببه: «شـدّة المصائـب والبلايـا والمحـن التـي أصابـت الإسـلام والمسـلمين مـن كيدهـم ومكرهـم وأنـواع دسائسـهم؛ فلـم ينـل المشـركون واليهـود والنصـارى

١- مع الركب الحسيني، ج:١، ص:٣٧

٢- التوبة: ٦٧

٣- المفردات، ص:٦٥٦

٤- تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج:١٩، ص:٢٨٨، بتصرف

٥- النساء: ١٤٥

من دين الله كما ناله من المنافقين!»[1].

فقد كانوا الأشد خطراً والأكثر فتكاً والأمضى سيفاً والأدمى جراحاً على الإسلام والمسلمين، ويكفي للإشارة إلى شدّة عداوتهم وضرورة الحذر منهم قوله تعالى ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾[2]، وكأنّه لا عدو إلا هم ولا عداوة إلا التي تصدر منهم!

المنافقون وصورٌ من كيدهم وإفسادهم!

«لقد ظهرت آثار دسائسهم ومكائدهم وأراجيفهم في أوائل سِنيّ هجرة النبي ﷺ إلى المدينة؛ حيث انسلّوا يوم أحد من الجند الإسلامي وقد كانوا يمثلون الثلث تقريباً، وعقدوا الحلف مع اليهود واستنهضوهم على المسلمين، وبنو مسجد ضرار، وأشاعوا حديث الإفك إلى غير ذلك مما تشير إليه الآيات القرآنية.

حتى بلغ أمرهم في الإفساد وتقليب الأمور على النبي ﷺ إلى حيث هددهم الله تعالى بمثل قوله ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجاوِرُونَكَ فيها إِلاَّ قَليلا﴾[3]»[4].

١- تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج:١٩، ص:٢٨٨، بتصرف

٢- المنافقون: ٤

٣- الأحزاب: ٦٠

٤- تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج:١٩، ص:٢٨٨، بتصرف

متى بدأت حركة النّفاق؟!

يوجد رأيان في المقام بالنسبة لـ«بدء حركة النفاق»:

الرأي الأول: يرى بأنّ حركة النفاق بدأت بدخول الإسلام المدينة المنورة، وأنّها استمرت إلى قرب وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وبوفاته تنتهي حركة النفاق، فهذا الرأي لا يرى لحركة النّفاق أي وجود قبل دخول الإسلام المدينة المنورة ولا أي استمرار لها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله.

الرأي الثاني: يرى بأنّ حركة النفاق بدأت ببدء الإسلام، وحصلت قبل الهجرة عندما كان المسلمون في مكّة، وأنّها استمرت حتى إلى بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله.

والصحيح أن حركة النفاق بدأت ببدء الدعوة، وأن النفاق قد دبّ في أتباع الإسلام بمكة وقبل الهجرة، وهذا ما تثبته الحوادث التاريخية الحاصلة في زمن النبي صلى الله عليه وآله وكذا عند التأمل والإمعان في الحوادث الواقعة بعد رحيله!

مضافاً إلى ملاحظة طبيعة المجتمع وقوانينه وسنته الفعالة: التي تقضي بكون حركة النفاق حادثة قبل الهجرة الشريفة، وأنّها مستمرة إلى ما بعد رحيله كما سيتضح ذلك قريباً.

استدلال القائلين بأن حركة النفاق قد بدأت بعد الهجرة

وقد أقام أصحاب الرأي الأول - القائلين بأن حركة النفاق قد بدأت بدخول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله المدينة المنورة، وأنها استمرت إلى قرب

وفاته - دليلاً على ذلك، حاصله: أنّ النبي ﷺ والمسلمين بمكة وقبل الهجرة لم يكونوا من القوّة ونفوذ الأمر وسعة الطَول، بحيث يهابهم الناس ويتقيهم، أو يرجون منهم خيراً حتى يظهروا لهم الإيمان ظاهراً، ويتقربوا منهم بالإسلام حيث كان المسلمون مضطهدين ومعذبين بأيدي صناديد قريش ومشركي مكة المعادين لهم المعاندين للحق!

فلا يتصور - في مثل هذه الفترة الزمانية - وجود منافقين بين المسلمين، وذلك لعدم وجود المقتضي لذلك -وهو الخوف- وانتفاء الداعي والمبرر للنفاق!

نعم؛ بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، وبعد أن كسب أنصاراً من الأوس والخزرج، وبعد أن استوثق من أقوياء رجالهم: أن يدفعوا عنه كما يدفعون عن أنفسهم وأهليهم.

ومع ملاحظة دخول الإسلام في بيوت عامتهم، فكان مستظهراً بهم على العدّةِ القليلة التي لم تؤمن به وبقيت على الشرك.

فمع ملاحظة كل هذه الأمور: يُتصور بروز حركة النفاق، ووجود المنافقين بين صفوف المسلمين في مثل هذه الفترة الزمانية وبعد الهجرة النّبوية؛ حيث لم يسع البعض أن يعلنوا مخالفتهم للإسلام ويظهروا شركهم؛ لأن مثل هذا الأمر سيسبب لهم الضرر ولحوق الشر بهم!

فتوقّوا مثل هذا الشر بإظهار الإسلام، فآمنوا به ظاهراً وهم على

كفرهم باطناً، فدسّوا الدسائس ومكروا ما مكروا[1].

والحاصل: «إن هذا الرأي يعتمد على «عامل الخوف» من شوكة الإسلام والمسلمين وسطوتهم فقط، كدافع يدفع «الكافر حقيقة» أن ينافق، فيستظهر الإيمان بدخول الإسلام ويستبطن الكفر!

وهذا الحصر يؤدي بالضرورة إلى القول: بأن النّفاق لا يكون في الوسط الإسلامي إلا حيث تكون للإسلام شوكة وحاكمية وغلبة»[2].

استدلال القائلين بأن حركة النفاق قد بدأت قبل الهجرة

وأما أصحاب الرأي الثاني - القائلين بأن حركة النفاق قد بدأت قبل الهجرة - فهم يجيبون على أصحاب الرأي الأول: بأنّ دواعي النفاق وأسبابه لا تنحصر بالأمر الذي ذكروه، واستدلوا به على قولهم، حيث إنه متى ما انتفى هذا الداعي والسبب فإنه سوف ينتفي النفاق! بل هناك دواعٍ وأسباب متعددة للنفاق - وما ذكروه وهو عامل الخوف هو أحدها - توجب حصول هذه الحركة في المجتمع، وبيان هذا الإجمال سيتضح عندما نبين دواعي النفاق المتعددة بشكل تفصيلي.

الدواعي والأسباب المختلفة للنفاق

توجد عّدة دواعٍ وأسباب لوجود حركة النفاق واتّصاف البعض بهذه

١- تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج:١٩، ص:٢٨٨-٢٨٩، بتصرف

٢- مع الركب الحسيني، ج:١، ص:٣٨

الرذيلة الشنيعة، ونحن نذكر في المقام بعضاً منها:[1]

أولاً: الخوف من الموت: فهناك من ادّعى الإسلام والإيمان خوفاً من الموت، كما هو حال كفّار مكة ومَن والاها، وخاصّة صناديد قريش؛ فإنّهم ما كانوا ليؤمنوا بالنبي ﷺ لولا سواد جنودٍ غشيتهم، وبرق سيوف سُلّطت على رؤوسهم يوم الفتح!! فهل يُقال - والظرف هذا الظرف - بأنّه حدث في قلوبهم الإيمان، وفي نفوسهم الإخلاص واليقين، فآمنوا بالله تعالى طوعاً عن آخرهم، ولم يدب فيهم دبيب النفاق أصلاً؟!

ثانياً: الارتياب في الدين وكتم ذلك: وهناك من دخل الإسلام ثم ارتاب في دينه وارتدّ، ولم يُبرز هذا الأمر؛ بل كتم ارتداده وبقي على تظاهره بالإسلام كما تلمح له بعض الآيات، كقوله تعالى ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾[2]، وكقوله تعالى ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرين﴾[3]. وقد يحصل الارتياب خلال طريق المعاناة: نتيجة هزّات عُظمى وصدمات كبرى أو شبهات مضلّة.

ثالثاً: التخريب من الداخل: فهناك من يستظهر الإيمان، ويستر الكفر من أجل أن يتمكن من تقليب الأمور وإفساد المجتمع الديني من الداخل، وتضعيفه بأيدٍ خفيّة غادرة، فالكيد بالدين من الداخل أوجع وأمضى من الكيد به من الخارج في كثير من الأحيان!

١- تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج:١٩، ص:٢٨٩-٢٩٠

٢- المنافقون: ٣

٣- المائدة: ٥٤

ومَن يقوم بهذا العمل: لا يصيبه أذىً من الكفار والأعداء الخارجيين غالباً! بل في كثير من الأحيان: يكون هناك تعاون وتنسيق خفي وسري بينهما، حيث يتفقان على هدف مشترك: وهو القضاء على الدّين!

وهذا الطابور الخامس والعدو الداخلي، قد أثبتت التجارب أنّه من أخطر الأعداء وأصعبها في المقاومة، وأكثرها إيجاعاً وإفساداً! «ولهذا الصنف أنواع؛ فمنهم من يطمع الوصول إلى موقع معنوي في قلوب الحكام أو في قلوب المسلمين من أجل التخريب من الداخل! ومصداق ذلك: الذين دسّهم أهل الكتاب في الصف الإسلامي، مثل: كعب الأحبار اليهودي وتميم الداري النصراني»[1].

رابعاً: النفاق من أجل الزعامة الدينية: وهناك من يُظهر الإيمان، ويخفي الكفر من أجل البلوغ لأطماعه وأمانيه، وهي التقدم والرئاسة والاستعلاء والسيطرة؛ إشباعاً للنزعة السلطوية في النفس!

وهؤلاء لا يقومون بتغليب الأمور وتربص الدوائر على الإسلام والمسلمين وإفساد المجتمع الديني؛ بل يسعون لتقويته وتغذيته بالمال والجاه؛ وذلك لكي تنتظم الأمور وتتهيأ الأرضية لهم كي يستفيدوا من الدين، ويستدروا به منافعهم الشخصية، وذلك بعد أن يتسنموا سدّة الرئاسة أو يكونوا من الوجهاء في الدين!!

وهذا الصنف من المنافقين - وقد سمعوا النبي محمد ﷺ يذكر في دعوته لقومه: أن لو آمنوا به واتبعوه كانوا ملوك الأرض - لا يعبؤون بمخالفة القوى المخالفة القاهرة الطاحنة؛ بل هم على أتم الاستعداد

١- مع الركب الحسيني ج:١، ص:٤٣

لتحمل المخاطر، والصبر على البلايا وتجرّع الغصص وملاقاة المحن؛ رجاء أن يوفقوا يوماً للحصول على مرامهم: وهو التّحكم على الناس واستقلالهم بإدارة رحى المجتمع!

ومن مميزات هذا الصنف من المنافقين: أنّهم يحرصون في العادةعلى مصالح الإسلام ما دامت تتوافق مع مصالحهم المنشودة.

نعم؛ قد يبرز منهم شيء من المخالفة والمضادة للدين: عندما يكون الدين صادّاً لأمانيهم، ومانعاً لأطماعهم وتقدمهم وتسلّطهم! فيقومون بالمكر والخداع، والقيام بأمور تنتهي إلى أغراضهم الفاسدة: باختلاق الأكاذيب والافتراء على الشرع والدين![1]

والحاصل: «أن عامل (الطمع) - الطمع في مستقبل الإسلام - كان دافعاً قويّاً لمثل هؤلاء المنافقين، وهذا العامل - الطمع - لم يكن وليد المدينة المنورة؛ بل كان مع الإسلام منذ أول أيامه في مكة المكرمة؛ إذ كان في العرب رجالٌ أهل خبرة ومعرفة بحقائق السنن الاجتماعية، وسنن الصراع وقراءة المستقبل! فكانوا يعرفون أن دعوة هذا النبي ﷺ المستضعف في مكة آنئذٍ، هي التي تنتصر وأنّ كلمة هذا النبي ﷺ ستكون هي الكلمة العليا»[2].

«وكما كان في العرب أذكياء؛ توسّموا - منذ البدء - أن هذا الدين سيكون له شأن عظيم في المستقبل، كذلك كان هناك في العرب رجال لهم علاقات وطيدة باليهود والنصارى الذين كانوا يتوارثون أخبار الملاحم

١- تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج:١٩، ص:٢٨٩

٢- مع الركب الحسيني، ج:١ ص:٣٨، بتصرف

والفتن وأنباء المستقبل، ويُخبرون النّاس أن عصرهم آنئذٍ عصر ظهور النبي الخاتم ﷺ! بل كانوا يعرفون النبي ﷺ بصفاته البدنية والمعنوية معرفة يقينية ﴿الَّذينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُم﴾[1]، وكانوا يحدّثون الناس بأنّه هو الرسول الخاتم الفاتح ﷺ! فلما آن أوان ظهوره، أخبروا بعض العرب بذلك، وأكدّوا لهم: أنّ المستقبل لهذا النبي ﷺ ولدعوته الجديدة!

لقد كان النظر إلى (مستقبل هذا الدين) دافعاً قوياً إلى الانضواء تحت رايته والانتماء إليه! وكان أكثر العرب - في قضايا العقائد ومستقبل الأحداث - يعتمدون رأي أهل الكتاب»[2].

خامساً: النفعيون وأصحاب المطامع: «وهناك من يطمع في الوصول إلى أهداف وغايات أخرى أقل أهمية من الحصول على الرئاسة والزعامة، كالحصول على مغانم أو تنمية مصالحه وتوسعتها في ظل نماء مصالح الإسلام! أو انتصاراً لحميّة أو غير ذلك»[3].

والحاصل من كل ما تقدم: «أن حركة النفاق لم تبدأ بدخول الرسول الأكرم ﷺ المدينة المنورة؛ بل بدأت بدخول الصف الإسلامي منذ أوائل حياته في مكة المكرمة.

نعم؛ لم تتخذ حركة النفاق شكل الظاهرة الاجتماعية الخطيرة إلا

١- البقرة: ١٤٦، الأنعام: ٢٠

٢- مع الركب الحسيني، ج:١، ص:٣٩

٣- مع الركب الحسيني، ج:١، ص:٤٣-٣٣، بتصرف

في المدينة المنوّرة بعد قيام الدولة الإسلامية»[1].

نهاية حركة النفاق!

هناك نظرة مشهورة خاطئة تدعي أنّ حركة النفاق قد استمرت إلى قرب وفاة النبي الأكرم ﷺ وانتهت بوفاته! وهذه الدعوى لا يصدقها التاريخ الحق، حيث إنّه لابُدّ أن نفرّق بين أمرين:

- **أحدهما:** انقطاع الأخبار عن حركة المنافقين الظاهر في مواجهة الإسلام والمسلمين، وعدم ظهور ما كان يظهر منهم من أعمال مضادّة وآثار معاكسة ومكائد ودسائس مشؤومة، وهذا أمرٌ قد حصل بعد موت النبي ﷺ مباشرةً وانعقاد السقيفة وانتشار الخبر عن نتائجها، حيث اختفت هذه الحركة الهائلة عن ظاهر الحياة السياسة والاجتماعية فجأة!
- **والآخر:** هو انتهاء هذه الحركة بالفعل وانحلالها وزوالها من خريطة العمل السياسي والاجتماعي(٢)، وهذا أمرٌ لم يحصل قطعاً؛ والدليل عليه: أنّه بمجرد أن وصل الحق إلى أهل البيت عليهم السلام، وجاءت الخلافة لأمير المؤمنين عليه السلام حتى عادت حركة النفاق بالتحرّك والبروز وتقليب الأمور على الإسلام والمسلمين، كما حصل في الجمل وصفّين والنهروان وغيرها من المواقف.

١- المصدر نفسه، ج:١، ص:٤٤

٢- المصدر نفسه، ج:١، ص:٤٤-٤٥، بتصرف

حركة النفاق بعد رحيل الرسول الأكرم ﷺ

من الملاحظ أنّ حركة النفاق قد توقّفت وانقطع خبرها برحلة الرسول ﷺ وانعقاد الخلافة، وانمحى أثر المنافقين بعد ذلك، فلم يظهر منهم ما كان يظهر من المكائد والدسائس المشؤومة! فما هو السر في ذلك؟

توجد عدة احتمالات:

الاحتمال الأول: أنّ جميع أفراد حركة النفاق أو رموزها الفعالة، وأعضائها النشيطين قد أُبيدوا وقُتلوا قبل رحلة النبي ﷺ، الأمر الذي يعني أنه قد تم القضاء على هذه الحركة قضاءً مبرماً، أو أنها شُلّت نتيجة ذلك شللاً تاماً! وتاريخ السيرة النّبوية لا يصدّق هذا الاحتمال، بل يرفضه رفضاً تاماً.[1]

الاحتمال الثاني: أنّ المنافقين وُفّقوا للإسلام وأخلصوا الإيمان عن آخرهم برحلة النبي ﷺ؛ حيث تأثرت قلوبهم من موته ما لم تتأثر بحياته[2]؛ فنابوا إلى الله جميعاً وأخلصوا الإيمان عن آخرهم، وحسن بذلك إسلامهم. وهذا الاحتمال باطلٌ؛ فهو أمرٌ لا يقبله العقل السليم، ولا تساعد عليه النقول التاريخية؛ فإذا لم تتأثر قلوبهم ونفوسهم بالنبي ﷺ وهو حيٌّ بين ظهرانيهم، يسمعون كلامه ويرون كمال خصاله وأفعاله، فكيف يمكن أن تتأثر قلوبهم ونفوسهم بسبب وفاته بحيث يؤدي ذلك إلى أن يوفّقوا للإسلام، ويتركوا النفاق والإلحاد!

١- مع الركب الحسيني، ص:١، ج:٤٥، بتصرف

٢- تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج:١٩، ص:٢٢، بتصرف

مضافاً إلى وجود مجموعة من الشواهد التاريخية؛ والتي تبرز وتكشف شيئاً من حياة هؤلاء وأقوالهم وأفعالهم؛ حيث تدّل على عدم إسلامهم الواقعي، وبقائهم على ما كانوا عليه من الكفر الباطني!

الاحتمال الثالث: أن حركة النفاق نفسها تسلّمت زمام الأمور بعد رحلة النبي ﷺ أو أنها - على الأقل - كانت قد صالحت أولياء الحكومة بعد رحلة النبي ﷺ على ترك المضادة والمشاغبة، مصالحة سرية قبل الرحلة أو بعدها، بشرط أن يسمح لها تحقيق ما فيه أمنيتها!

أو أن حركة المسلمين وحركة النفاق بعد رحلة النبي ﷺ وبعد السقيفة كانتا قد وقعتا في مجرى واحد واتجاه واحد، وتصالحتا مصالحة عفوية، بلا تكلّف عهد وعقد! فارتفع التضاد والتزاحم والمضارة والمعارضة بينهما[1].

وهذا الاحتمال هو الحق الذي لا مرية فيه؛ فإنّ الذين تصدّوا للحكومة، واغتصبوا الخلافة من أهلها يوم السقيفة: هم رأس النّفاق وحزب الشيطان؛ فالمنافقون - الذين كانوا يقلّبون الأمور على الإسلام والمسلمين - هم الآن على سدّة الحكومة والخلافة، أو هم المعاونون لهم وأصحاب النفوذ في دولتهم!

ومن الحقائق التاريخية: أن الذين وصلوا إلى الخلافة «حزب السلطة» قد كانوا في تحالفات مع كفّار قريش «الحزب الأموي» واليهود والنصارى! مضافاً لاستغلالهم ضعف عقول الناس وعدم وعيهم

١- مع الركب الحسيني ج:١، ص:٤٦ - تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج:١٩، ص:٢٩

لمجريات الأمور!

والحاصل: أنّ حركة النفاق لها فصائل متعددة متنوعة في الأدوار متحدة في الهدف وهي: حزب السلطة والحزب الأموي ومنافقو أهل الكتاب ومنافقو أهل المدينة والمنافقون النفعيون، وهذه الأحزاب على اختلافها الظاهري، إلا أنّ كل حزب يقوم بدور معين ويتكفل بإنجاز مهمة خاصة!

وقد كان الهدف المشترك عند الكل هو: القضاء على الإسلام وجعله جسداً بلا روح وقشراً بلا لب، وتغيير أحكامه وتبديلها!

وأكبر عمل شنيع قاموا به في هذا السبيل: أن أقصوا الإمام علي عليه السلام وأهل بيته من سدّة الصدارة وإدارة شؤون الأمّة!

وهذه الأحزاب الشيطانية كانت تسير في عملٍ منظّم وسرّي، فلم تكن الأمور تجري بنحو الصدفة والاتفاق، كما يحلو للبعض تصوير ذلك![1]

الخطبة الشقشقية .. وثيقة تكشف أوراق النفاق!

إنّ النظر إلى الخطبة الشقشقية والتأمل في توصيف الإمام علي عليه السلام لمجريات الأحداث، وما فيها من انقلابات، وما أنتجته من مخاضات وآفات، يؤكّد حقانية ما تقدم: أنّ حركة النفاق قد دخلت الإسلام من بدايته وهو وليد في مكّة، وأنّها استمرت إلى ما بعد وفاته؛ بل هي

١- للمزيد من التفاصيل راجع: كتاب مع الركب الحسيني، ج:١، ص:٣٥-١٣٧، المقالة الأولى: النفاق .. قراءة في الهوية والنتائج

باقية ما بقي الإنسان!

وإلا فما معنى أن يُرشّح الثاني الأول للخلافة في السقيفة، ومن ثم يُرجع الأول الخلافة للثاني بعد ذلك؟

لا جواب مقنع إلا ما قاله الإمام عليه السلام: «فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا!!» وهكذا «الحزب» يهيئ الأرضية للثالث، ولكن هذه المرة بطريقة أكثر ضبابية وأشدّ ظلمة، وكما يقول الإمام علي عليه السلام: «حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي [سِتَّةٍ] جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ فَيَا للهِ وَلِلشُّورَى»!

فهي شورى ظاهراً؛ إلا أن الثالث متعين حتماً!! وما إن وصلت الخلافة لأمير المؤمنين علي عليه السلام حتى عادت حركة النفاق تظهر على السطح صراحاً جهاراً، وكما حارب الرسول صلى الله عليه وآله بالأمس على التنزيل، فإن الإمام علي عليه السلام يحارب اليوم نفس أعداء الأمس ولكن على التأويل .. «فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ ومَرَقَتْ أُخْرَى و[فَسَقَ] قَسَطَ آخَرُونَ»!!

والحاصل: أنّ السلطة وزعامة الأمة بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وباستثناء فترة حكم الإمام علي صلى الله عليه وآله قد تسلمها واستولى عليها المنافقون:

فأولاً تسلم الخلافة ثلاثة من أعضاء «حزب السلطة».

ومن ثم أوصلوا الخلافة - بتخطيط محكم مشؤوم - إلى الحزب الأموي،ليصبح معاوية بن أبي سفيان خليفة للمسلمين! فـ«كفّار» الأمس و«منافقو» اليوم هم على رأس الأمة الإسلامية!

نعـم؛ إنّهـم «أعـداء الإسـلام» و«قتلـة المسـلمين»، هـم أنفسـهم ولا سـواهم! وهـل تغيـروا؟!

نعـم؛ تغيـروا علـى مسـتوى الظاهـر؛ فبالأمـس كانـوا يرتـدون «ثيـاب الكفـر» ولكنّهـم اليـوم يرتـدون «ثيـاب النفـاق»! وبذلـك خدعـوا، وتمكنـوا، وحكمـوا، ومـن ثـم دمّـروا الإسـلام مـن الداخـل!

وإنا لله وإنا إليه راجعون

صدر لدار الوفاء للثقافة والإعلام

سلسلة رجالٌ صدقوا:

١- هكذا عرفوه، الشهيد رضا الغسرة
٢- المؤمن الممهد، الشهيد علي المؤمن
٣- فخر الشهداء، الشهيد عبدالكريم فخراوي
٤- الخارجون من الماء، رواية المحرر من السجون الخليفية محمد طوق، كمال السيّد

سلسلة نهج الولاية:

١- العمل المؤسساتي في فكر الإمام الخامنئي
٢- الاستغفار والتوبة، الإمام الخامنئي
٣- التحليل السياسي في فكر الإمام الخامنئي
٤- العبد الصالح، رواية الإمام الخامنئي عن الإمام الخميني
٥- سيد شهداء محور المقاومة، الشهيد القائد قاسم سليماني
٦- عهد الأمير إلى المسؤول والمدير، الإمام الخامنئي
٧- النفوذ في فكر الإمام الخامنئي

سلسلة من داخل السجن:

١- التغيير في سبيل الله، الشيخ زهير عاشور
٢- تأملات في الفكر السياسي، الشيخ زهير عاشور
٣- الإسلام والعلمانية، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٤- الرحيل نحو الأبدية، الساعات الأخيرة للشهيد علي العرب قبل إعدامه، كمال السيّد

٥- يسألونك عن عاشوراء، محمد فخراوي
٦- رسول الرحمة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٧- على ضفاف الحسين، الأستاذ محمد سرحان
٨- نشيد الشهادة، شرح وصية الشهيد القائد قاسم سليماني، الأستاذ محمد سرحان
٩- ماضون على دربك، قصص أسرى البحرين بعد استقبال خبر شهادة الشهيد قاسم سليماني
١٠- مرج البحرين يلتقيان، حياة الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام، الأستاذ محمد فخراوي
١١- خط الإمام الخميني، الشيخ جاسم المحروس
١٢- الإسلام دين الفطرة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
١٣- شقشقة المظلوم، شرح الخطبة الشقشقية لأمير المؤمنين عليه السلام، الشيخ زهير عاشور

سلسلة تاريخ البحرين:

١- شهادة وطن، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
٢- آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود
٣- الإبادة الثقافية في البحرين
٤- تيار الوفاء الإسلامي، المنهج الرؤية الطموح

كتب أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين:

١- الشهادة رحلة العشق الإلهي
٢- في رحاب أهل البيت
٣- الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الأول
٤- الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الثاني

٥- الدولة والحكومة
٦- قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين عليه السلام
٧- إضاءات على درب سيد الشهداء عليه السلام
٨- القدس صرخة حق
٩- الجمري في كلمات أمينه وخليله
١٠- الإسلام والعلمانية
١١- رسول الرحمة
١٢- الإسلام دين الفطرة

كتب أخرى:

١- قافلة الخلود - شهداء البحرين
٢- عاشوراء البحرين ٢٠١٩
٣- كتيّب المقاوم العارف، الشهيد المقاوم أحمد الملالي
٤- عاشوراء البحرين ٢٠١٨
٥- حصاد البحرين ٢٠١٧
٦- عاشوراء البحرين ٢٠١٧
٧- في رحاب مدرسة الإمام الخميني قدس سره
٨- المهدوية في الفكر الولائي
٩- الحصاد السياسي ٢٠١٦
١٠- ألم وأمل، السيد مرتضى السندي

كتب باللغة الفارسية:

١- تغيير در راه خدا (التغيير في سبيل الله)، الشيخ زهير عاشور
٢- بازخوانى خطبه هاى امام حسين (قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين)، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

٣- بر آستان اهل بيت (في رحاب أهل البيت)، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٤- رنج و اميد (ألم وأمل)، السيد مرتضى السندي
٥- گواه ميهن (شهادة وطن)، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
٦-تاريخ سياه آل خليفة (آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود)

شقشقة المظلوم .. تأمر الشعوب بأن تستند في مواقفها على البصيرة والوعي، وأن تتخذ قراراتها بأنفسها، وأنّه لا بد لها أن تُحكِّم العقل، وتجري التحليل إذا ما أرادت أن تقوم بأي عمل أو تتخذ أي موقف أو تختار خطاً ومنهجاً؛ فهي تفهم أولاً ثم تتخذ القرار فتبادر العمل! وتحذر الشعوب من أن تُسلب منها القابلية على تحليل الأمور ودراستها، فتُساق وتُحرّك كالقطعان خلف التيارات العامة، ولا تتأثر بالأجواء السائدة ولو كانت تائهة ضائعة.